بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـــر

بقلم مدير المجلة: أ.د. محمد عباس

كان من الطبيعي أن تمنحنا التجربة في العدد السابق فرصة التواصل بالاشعاع العلمي لما يجري في مخبر تعريب المصطلح في العلوم الانسانية والاجتماعية، وأن يظهر العدد الثاني من مجلة المعتمد في الاصطلاح، وهي تضم هذه المرة مجموعة من المقالات ذات أبعاد تحوم حول المصطلح في قضاياه المختلفة بين اختلاف العلماء في المصطلحات، والتأويل في القرآءة والمصطلح الفقهي وغموض المصطلح عند المستشرقين مع تكليل المصطلح باللغة الفرنسية في مجاله الواسع وغيرها.

في كل هذه المقالات يجد القارئ الكريم ضالته في متابعة المصطلح من حين إلى آخر، وبغيتنا دوما أن تجد المجلة موافقة القارئ على الاتصال العلمي.

وعلى الله قصد السبيل.

المعتمد في الاصطلاح

مجلة يصدرها مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية

و الاجتماعية . جامعة أبي بكر بلقا يد .

دير المجلة : أ.د. محمد عباس .

ئيس التحرير: أ.د. رضوان النجار .

هيئة التحرير

أ.د.محمد عباس .
د.مختاري زين الدين .
أ. خير الدين سيب .
د. غيثري سيدي محمد
د.محمد محي الدين
أ. تاج محمد

هيئة القراءة

أ.د.محمد عباس
أ.د. رضوان النجار
د. غيثري سيدي محمد
د.مختاري زين الدين
أ.د. قدور ابراهيم عمار
د. بلوحي محمد
د. دكار احمد .
أ. دايم بلقاسم .

الهيئة الاستشارية

.د.عبدالله بوخلخال (قسنطينة)
.د.سالم علوي .(الجزائر).
.د.زبير دراقي .(تلمسان).
أ.د.عشراتي سليمان.(وهران).
أ.د.قلفاط شكري .(تلمسان).
أ.د.مختاري نويوات (عنابة) .

اختلاف العلماء في المصطلحات

اختلاف البلاغيّين نموذجا

د. محمّد محيي الدين ـــ جامعة تلمسان

للمصطلحات العلميّة أهمّيّة بالغة.ولذلك ما فتئ الاهتمام بها يتضاعف، والعناية بها تزداد. ويتجلّى ذلك فيما يُؤلّف من كتب ومقالات، وفيما يُعقد من ندوات وملتقيات.

وإذا كانت قضايا المصطلح، موضوع هذا الملتقى، كثيرة، فإنّ من أهمّها قضيّة توحيد المصطلحات، وذلك لأنّ التوحيد أمر ضروريّ. وليس الاصطلاح، في مفهومه، إلاّ الاتّفاق وعدم الاختلاف.

وإذا كنّا نشكو اليوم اختلاف العلماء في المصطلحات، وندعو إلى توحيدها، ولاسيّما تلك التي يقترحها المترجمون للمصطلحات الغربيّة، فإنّ تلك الوحدة لم تتحقّق فيما وضع أسلافنا من مصطلحات في بعض العلوم، ومنها علوم البلاغة التي اخترناها نموذجا لبيان ذلك الاختلاف.

إنّ المتتبّع للمصطلحات البلاغيّة ليقف على اختلاف العلماء في كثير منها؛ فقد يجد للّون البلاغيّ الواحد أكثر من اسم (اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة): فهذا العالم وضع له مصطلحا، وذاك أعطاه اسما آخر، وفعل مثلَ ذلك غيرهما.

وإذا كان كثير من المصطلحات التي وضعها العلماء قديما قد أُهمل و لم يعد مستعمَلا في عصرنا، فإنّ الأمر لم يكن كذلك. وفي الكتب القديمة ما يشير إلى تعايش تلك المصطلحات: هذا يستعمل مصطلحا، وذاك يستعمل غيره.

وفي سياق حديثه عن بلاغة التمثيل في قوله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)[17] وضع الزمخشري بين ايدينا مفاتيح النغم لتبيّن مفهوم التخييل وحقيقته وأوجه الاختلاف بينه وبين التمثيل. ويعتبر وجه الشبه هو المعيار الأساس في التفرقة بين التمثيل والتخييل فهو في التمثيل متحقق الوجود وفي التخييل مفروض في الذهن " والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات"[18] فعرض الأمانة على الجمادات وإباؤها وإشفاقها محال في نفسه غير مستقيم لأن تلك الأعراض هي مما يتصف به الأحياء لا الجمادات. بخلاف تقدم الرجل وتأخيرها في قلوهم للمتردد بين الرأيين: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله، فهو أمر غير ممتنع الوقوع.

ولئن بدا الزمخشري في بعض المواضع غير منضبط في استعمال مصطلحي التمثيل والتخييل لتقاربهما في الدلالة فإنه في سياق تفسيره قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾[19] حدد مفهوم كل واحد منها لديه فقال: "ومعنى أمر الأرض والسماء بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل. ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما ائتيا شئتما أوأبيتما، فقالتا: أتينا على الطوع لا على الكره. والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لاغير

---

17 سورة الحزاب : الآية72

18 الزمخشري : الكشاف ـــ مصدر سابق ـــ 277/03

19 سورة فصلت : الآية 11

من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب، ونحوه قول القائل: قال الجدار للوتد : لم تشقني ؟قال الوتد: اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي .."[20]

والملاحظة البارزة التي ينبغي تسجيلها في هذا السياق هو أن الزمخشري عمد إلى التأويل بالتخييل في كثير من النصوص القرآنية التي اسند فيها فعل من أفعال الأحياء كالكلام وغيره إلى الجماد لما تقرر عند المعتزلة من أن البنية شرط للحياة. بينما أجرى الأشاعرة تلك النصوص على ظواهرها لعدم مناقضتها مقرراتهم الكلامية في هذه المسالة[21].

وقد أورد العلوي حديث الزمخشري عن مكانة التخييل من علم البيان والتأويل مورد رضا وقبول، بيد أنه تعسف في شرحه وتفسيره[22]. وأبقى لنا في ثنايا حديثه ذلك إشارة معرفية مهمة؛ حيث صرح بأن للمفسرين في تأويل الآي المتشابهات طريقتين:

أولا : طريقة المتكلمين؛ وهم " يؤولون هذه الظواهر تأويلات وإن بعدت حذرا من مخالفة العقل، ويعضدون تأويلاتهم بأمور لغوية فيذهبون إلى أن المراد باليد: النعمة، وأن المراد بالعين العلم .."[23] وهي طريقة في التأويل ركيكة مزدراة عند أهل البيان .وقد اشار إليها قبله عبد القاهر الجرجاني

---

20 الزمخشري : الكشاف ــ مصدر سابق ــ 03/445، 446

21 ينظر: ابن المنير : الانتصاف ــ بهامش الكشاف ــ مصدر سابق ــ : 10/04 . والسرازي : التفسير الكبير 174/28 ،128/30

22 ينظر : العلوي : الطراز ــ مرجع سابق ــ 03/03 .ومحمد أبو موسى : البلاغة القرآنية ــ مرجع سابق ــ ص728 ــ 731

23 العلوي : الطراز ــ مرجع سابق ــ 07/03

عندما ذكر أن تأويل اليمين في قوله تعالى (والسماوات مطويات بيمينه)[24] بالقدرة إنما كان من بعضهم تأويلا على الجملة، وقصدا "إلى نفي الجارحة بسرعة، خوفا على السامع من خطرات تقع للجهال وأهل التشبيه ، جل الله وتعالى عن شبه المخلوقين؛ و لم يقصدوا إلى بيان الطريقة والجهة التي منها يحصل على القدرة والقوة. وإذا تأملت علمت أنه على طريقة المثل."[25] ونجد لهذه الطريقة حضورا كبيرا في الأعمال التأويلية لدى القاضي عبد الجبار لقصر باع الرجل في علم البيان وتوخيه في تأويلاته تقرير قضايا علم الكلام.

ثانيا: طريقة البلاغيين؛ ويعمد اصحابها ـــ وفي مقدمتهم الزمخشري ـــ إلى اعتبار تلك الآيات المتشابهة "جارية على نعت التخييل فهي في الحقيقة دالة على ماوضعت له في الأصل، لكن معناها غير متحقق، وإنما هو أمر خيالي، فاليد مثلا دالة على الجارحة، والعين كذلك، لكن تحقق اليد والعين في حق الله تعالى غير معقول، ولكنه جار على جهة التخييل .."[26] وهي طريقة أرسى دعائمها الزمخشري في كشافه.

والتخييل عند المتاخرين من علماء البيان قد يراد به الاستعارة التخييلية التي هي قرينة المكنية وقد يراد به ما سماه بعضهم "الاستعارة بالتخييل"

---

24 سورة الزمر : الاية67

25 عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ـــ مصدر سابق ـــ ص368

26 ينظر : العلوي :الطراز ـــ مرجع سابق ـــ 07،08/03

وبعضهم الآخر "التمثيل التخييلي "وهو أحد قسمي الاستعارة التمثيلية[27]، وهو ما عناه الزمخشري في كلامه المذكور سابقا.

ولقد أشار الرازي وقبله عبد القاهر الجرجاني إلى أن أغلب الآيات التي يوهم ظاهرها التشبيه؛ كقوله تعالى ﴿ولتصنع على عيني﴾[28] وقوله جل وعلا ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾[29] هي من باب الاستعارة التخييلية .[30] ويلاحظ أنهما قد أوردا هذه الإشارة في سياق الحديث عن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية، ولعل ذلك إنما كان منهما تحفظا في إطلاق لفظ التخييل على كلام الله تعالى.

ويبدو أن تحفظ أهل السنة في إطلاق مصطلح التخييل على كلام الله تعالى هو تحفظ على الدلالة الإيحائية للفظ أكثر منه على معناه والمراد به وذلك

---

27 ينظر : السبكي : عروس الأفراح ـــ مرجع سابق ـــ 35/04 . التبيان في البيان : للطيبي ـــ تحقيق : عبد الستار حسين زموط ـــ بيروت ـــ دار الجيل ـــ الطبعة الأولى ـــ 1996. ص 389،390 .و قد ذكرأحمد بن محمد مكي الحموي أن الاستعارة التمثيلية تنقسم ثلاثة أقسام:

الأول : ماكان معنى المستعر منتزعا من امور محققة في الخارج وهو الاستعارة التمثيلية التحقيقية .

الثاني : ماكان معنى المستعر منتزعا من امور موجودة في الذهن وهو الاستعارة التمثيلية التحقيقية العقلية

الثالث: ماكان معنى المستعر منتزعا من امور متخيلة لاتحقق لها في الذهن ولا في الخارج ؛ وهو الاستعارة التمثيلية التخييلية . ينظر: درر العبارات وغرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات ـــ تحقيق لـ إبراهيم عبد الحليم التلب ـــ القاهرة ـــ مطبعة السعادة ـــ دط ـــ 1987 ص 88.

28 سورة

29 سورة

30 ينظر : عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ـــ مصدر سابق ـــ ص109 .والرازي : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ـــ مصدر سابق ـــ ص133 . ونشير إلى أن الجرجاني استعمل ثيرا مصطلح التخييل في أسرار البلاغة بيد أنه لم يعن به بتانا الاستعارة بالتخييل التي نحن صدد الحديث عنها .

لاقتران التخييل بالكذب والباطل والظن المخالف للحقيقة[31]، وإلا فإنهم يوافقون الزمخشري في أكثر من موضع. يقول ابن المنير معقبا على تأويل الزمخشري الآية الكريمة: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾[32]: " فإن إطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾[33] وفي مثل قوله ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[34] وإنما أراد به حمل الأيدي على نوع من المجاز، فمعنى كلامه صحيح لأنا نعتقد فيهما المجاز وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي فلا بأس عليه في معنى إطلاقه، غير أنا مخاطبون باجتناب الألفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى وإن كانت معانيها صحيحة، وأي إيهام أشد من إيهام لفظ التخييل، ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل في قوله ـــ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ـــ فلا يشك في وجوب اجتنابه "[35] ثم ذكر أن فتح باب التأويل المجازي بهذا الشكل يفضي إلى الإفراط في حمل النصوص على غير ظواهرها ومن ثمة إلى الضلال[36]. وولعل ابن المنير قد أخذ حكمه هذا من كلام الرازي عند تفسيره الاية الكريمة: (يوم يكشف عن ساق)[37] حيث قال:"ولأنا إن جوزنا ذلك انفتحت ابواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد فإنهم يقولون في قوله ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ليس هناك لا أنهار

---

31 ينظر : : العلوي :الطراز ـــ مرجع سابق ـــ 03/03 وابن المنير : الانتصاف ـــ هامش الكشاف ـــ مصدر سابق ـــ 385/01

32 سورة ق : الاية 30

33 سورة الزمر

34 سورة

35 ابن المنير : الانتصاف ـــ هامش الكشاف ـــ مصدر سابق ـــ 10/04

36 ينظر : وابن المنير : الانتصاف ـــ هامش الكشاف ـــ مصدر سابق ـــ 10/04

37 سورة القلم : الاية 42

ولأشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة، ويقولـون في قولـه ﴿اركعـوا واسجدوا﴾ ليس هناك لاسجود ولا ركوع، وإنما هو مثل للتعظيم، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع وفساد الدين."[38]. وانطلاقا من هذا التصور الحذر لمصطلح التخييل" انبرى ابن المنير الإسكندري لتعقـب الزمخشـري وانتقاده في كل موضع اطلق فيه مصطلح التخييل.[39]

وقبله عرض الرازي بالزمخشري في أكثر من موضع مصرحا بأن ما اعتـبره تخييلا ماهو إلا تمثيل، بل إنه قد ينقل كلام الزمخشري بحذافيره ويعرض عن إطلاق مصطلح التخييل كما في تفسيره قوله تعالى: (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها..)[40] حيث ذكر أن للمفسرين في هذه الآية قولين:

الأول: إجراؤها على ظاهرها بمعنى أنه كان ثمة أمر من الله تعالى وإجابة من السماوات و الأرض بالنطق حقيقة، لأن الله تعالى خلق فيهما حياة وعقـلا وفهما. وقد اعترض الرازي على هذا القول بأن السماوات والأرض حـال توجه الأمر إليهما كانتا معدومتين فلا يصح ها التفسير.[41]

الثاني: أن " المراد منه أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليـه ووجـدتا كمـا أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمـير المطـاع، ونظيره قول القائل: قال الجدار للوتد لم تشقني ؟ قال الوتد اسأل من يدقني .. واعلم أن هذا عدول عن الظاهر، وإنما جاز العدول عن الظاهر إذا قـام دليل على أنه لايمكن إجراؤه على ظاهره، وقد بينا أن قوله (ائتيا طوعـا أو

---

38 الرازي : التفسير الكبير ــ مصدر سابق ــ 94/30

39 ينظر : وابن المنير : الانتصاف ــ بهامش الكشاف ــ مصدر سابق ــ426/01،385،129. 543/03،445،408. 62/04،10،09.

40 سورة فصلت : الآية 11

41 ينظر : التفسير الكبير ــ مصدر سابق ــ ج27 ص106

كرها) إنما حصل قبل وجودهما، وإذا كان الأمر كذلك امتنع حمل قوله ﴿ائتيا طوعا أو كرها﴾ على الأمر والتكليف، فوجب حمله على ماذكرنا."[42] والقول الثاني هو في الحقيقة قول الزمخشري جرده الرازي من مصطلح التخييل.

ونخلص في الأخير إلى أنه كان لقضية الحياة واقتضاؤها للبنية عند المعتزلة وعدم اقتضائها ذلك عند الأشاعرة أثر بارز في استخدام مصطلح التخييل في تاويل النص القرآني وتحديد أساليبه المجازية.

وأن الزمخشري قد دفعه منهجه الاعتزالي المتحرر إلى استخدام مصطلح التخييل في وصف بعض الأساليب المجازية في النص القرآني، بينما امتنع عن ذلك اعلام الدرس التاويلي الأشعري معتبرين خطوة الزمخشري في ذلك سوء أدب في حق كلام الله تعالى. وأن اعتراضهم إنما كان على دلالة المصطلح الإيحائية أكثر منه على معناه والمراد به. وبسبب تحفظ الأشاعرة على إطلاق لفظ التخييل على كلام الله تعالى لم يكتب لهذا المصطلح البقاء والذيوع كما كان الأمر بالنسبة لقرينه مصطلح التمثيل الذي فضل كلاميو الأشاعرة وبلاغيوهم استخدامه للدلالة على الاستعارة في التركيب بغض النظر عن تحقق التشبيه أو عدمه. وبهذا يتبدى لنا التأثير الواضح لعلم الكلام وقضاياه في وضع بعض المصطلحات البلاغية وضبط استخدامها.

---

42 الرازي : التفسير الكبير ـ مصدر سابق ـ 106/27

مصادر البحث ومراجعه

ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن - تحقيق د. أحمد صقر - بيروت- دار الكتب العلمية - الطّبعة الثالثة - 1981م.

ابن المنير : الانتصاف ـــ بهامش الكشاف ـــ دار الفكر للطباعة والنشر ـــ الطبعة الأولى ـــ 1977

الجاحظ : البيان و التّبيين - تحقيق عبد السّلام هارون - مصر - القاهرة - مطبعة لجنة التّأليف و التّرجمة و النّشر - الطبعة الثانية - 1960 م

عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ـــ تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ـــ القاهرة ـــ مكتبة الإيمان ـــ دط ـــ دت

أحمد بن محمد مكي الحموي : درر العبارات وغرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات ـــ تحقيق ك إبراهيم عبد الحليم التلب ـــ القاهرة ـــ مطبعة السعادة ـــ دط ـــ 1987

الرازي : فخر الدين محمد بن عمر : التفسير الكبير : بيروت ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ الطبعة الثالثة ـــ دت

محمد محمد أبوموسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ـــ القاهرة ـــ مكتبة وهبة ـــ الطبعة الثانية ـــ 1988

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ـــ تحقيق : سليمان حمودة ـــ الإسكندرية ـــ دار المعرفة الجامعية ـــ 2003

الزمخشري : الكشاف ـــ دار الفكر للطباعة والنشر ـــ الطبعة الأولى ـــ 1977

السبكي : عروس الأفراح ـــ ضمن شروح التلخيص ـــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ـــ دط ـــ دت

شوقي ضيف : البلاغة تطوّر و تاريخ – مصر – القاهرة – دار المعارف – 1965م –

عبد السّتار الراوي : العقل و الحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبّار المعتزلي – لبنان – بيروت – المؤسّسة العربية للدراسات و النّشر – الطبعة الأولى – 1980م

العلوي يحي بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـــ بيروت ت دار الكتب العلمية ـــ 1980

محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل ـــ دار الفكر العربي ـــ دط ـــ دت

اللسانيات المعاصرة و إشكالية ترجمة المصطلح اللسانونقدي "السيميائية أنموذجا"

د. بلوحي محمد

يعتبر ظهور الاتجاه الوصفي في الدراسات اللسانية مع أوائل القرن العشرين ثورة فاصلة في السيرورة المنهجية لهذا الحقل من حقول الدراسات اللغوية، وإيذانا بانطلاقة علم مستقل يدرس ظواهر اللّغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين، بعيدا عن الأحكام المعيارية، ويقوم بتحليل الألسن واللهجات باعتبار اللّغة منظومة اتصال محلية في فترة زمانية محدّدة مع إخراج البحوث التاريخية والفلسفية والمقارنة والتعليمية التقنينية، وكذا عدم تحديد صوابية الاستعمال.

ارتبط مولد اللّسانيات الحديثة بالعالم السويسري "فرديناند دوسوسير- Ferdinand de saussure 1857-1913"*1 والأنثروبولوجي الأمريكي "فرانزبواز Franz boaz"، و"أنطوان مارتي Antoine marty" (ت 1914)، و "أنطوان مييه Antoine meillet" (1866-1936) وغيرهم.

و على الرغم من أنّ ظهور الدرس اللغوي الوصفي (اللّسانيات)، قد ارتبط بدي سوسير أكثر من غيره، إلاّ أنّ تعاليمه و آراءه الجديدة لم يكتب لها الانتشار و الرّواج إلاّ بعد مدّة من وفاته.

فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure و الدرس اللغوي:

نسمع كثيرا و نقرأ عن أولئك الذين يسلّمون بالفضل لفرديناند دي سوسير في مجال الدراسات اللغوية، فإن كان ذلك صحيحا، ففيم تتمثل جدّة أطروحاته؟ و ما هي أهم المفاهيم التي جاء بها؟.

لعلّ ما ميّز سوسير عن غيره من الدارسين، هو تقسيمه للظواهر اللغوية إلى ثنائيات تدور كلّها حول محور واحد هو "اللغة الإنسانية" و قبل أن نفصّل الحديث في ذلك، ينبغي أن نشير إلى أن دي سوسير حين همّ بوضع أرضية علمية للنظرية اللّسانية اصطدم في الواقع بثلاثة مظاهر تتعلق بحقيقة اللغة البشرية وهي:

1- اللّغة (Langage): وهي الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان، والتي تجعله يتميّز عمّا سواه من الملكات الأخرى.

2- اللّسان (Langue): و هو النظام التواصلي الذي يمتلكه كلّ فرد متكلّم (مستمع مثالي)، ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيات حضارية وثقافية معيّنة.

3- الكلام (Parole): و هو الإنجاز الفعلي للغة في الواقع.

إنّ تحليل دي سوسير للغة و الكلام و اللّسان، يبيّن أنّ الكلام ظاهرة فردية، نصادفها في كلّ الاستعمالات الذاتية للغة، أو كما يقول "رولان بارث Roland Barth": ((الكلام هو خطاب الأنا منزوعا من اللّغة، و اللّغة هي المؤسسة الاجتماعية بعد أن حذفنا منها الكلام))2؛ في حين يكون اللّسان هو الخصوصية النوعية للغة في مجموعة اجتماعية ما.

انطلاقا ممّا سبق ذكره، يتضح أنّ اللّغة مؤسسة موضوعية قائمة فوق الأفراد وموجودة قبلهم، وتقوم على نوع من التعاقد بين أفراد المجموعة البشرية الواحدة؛ و للغة قوانينها التي تضبطها، وهي بذلك تتطلّب تدرّبا

وتعلّما ومعرفة لقواعد عملها، وهي بوصفها ظاهرة إنسانية تتميّز بتعدّد عناصرها، و لذلك فإنّها غير متجانسة في ذاتها، الأمر الذي يجعل تصنيفها وإخضاعها للوصف والتحليل صعبا بل مستحيلا؛ وهي حينئذ تستعصي على الباحث اللّساني الذي يسعى إلى تناولها من وجهة نظر واحدة، و لذا كان من الأنجع البحث عن إطار موّحد في بنيته، يتميّز بالتجانس التام بين عناصره، فكان اللّسان هو الوحيد الذي تتحقق فيه تلك الميزة باعتباره صيدا قواعديا منتظما يوجد بصفة مضمرة في أذهان الأشخاص المتكلمين المنتمين إلى المجتمع اللغوي الواحد.

فاللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية، لا يوجد عند كلّ فرد على حدة، بل يوجد بصفة كاملة عند الجماعة. فهو إذن القانون المشترك بين أفراد المجتمع اللغوي الذي يسمح لهم بالإتصال، ويتميّز عن اللّغة من حيث إنّه ظاهرة اجتماعية تمارس فعاليتها بالقوّة بمعزل عن إرادة الأفراد المتكلّمين، ولذا، فإنه ليس من وظيفة المتكلّم، لأنّه النتيجة التي يسجلّها الفرد بكيفية سلبية، عكس الكلام الذي هو إنجاز فردي نابع عن إرادة وذكاء.

والتمييز بين اللّسان و الكلام، هو تمييز بين ما هو اجتماعي عمّا هو فردي. وما هو جوهري عمّا هو تابع أو عرضي،و لقد حاول الدكتور "تمّام حسّان" تلخيص هذه المقابلة بين اللّسان والكلام بما يلي:3

- الكلام عمل، واللّسان حدود هذا العمل.
- الكلام سلوك، واللّسان معيار هذا السلوك.
- الكلام نشاط، واللّسان قواعد هذا النّشاط.

- الكلام يدرك بالسّمع نطقا، وبالبصر كتابة، واللّسان يدرك بالتأمّل في الكلام. فالكلام هو المنطوق والمكتوب، واللّسان هو المخزون في المتون اللغوية.

- الكلام عمل فردي و اللسان عمل اجتماعي.

وبناءً على هذا فإنّ موضوع اللّسانيات هو اللّسان لا الكلام، باعتبار اللّسان أكثر انضباطا و دقّة من الكلام، الأمر الذي يسمح بدراسته دراسة علمية، وتاليا وضع قانون عالمي مثالي ومحايد؛ لكن و على الرغم من الفروق الموجودة بينهما، إلاّ أنّهما متّصلان اتصالا شديدا حيث يقتضي أحدهما وجود الآخر، ذلك ((...لأنّ اللّسان ما هو إلا راسب من عمليات عديدة للكلام عبر الزمن، أمّا الكلام فإنّه تطبيق أو استعمال للوسائل والأدوات الصّوتية، والتركيبية، والمعجمية، التي يوفرها اللّسان)) 4.

إن طبيعة المنهج العلمي الذي تبنّاه دي سوسير في مجال البحث اللّساني، هو الذي أفرزت رؤية تعاملية تميل إلى الشيء المحدّد والمتجانس في ذاته، فكانت فكرة النظام اللّساني(Systéme Linguistique) الذي يتكون من وحدات أساسية متوافقة فيما بينها، و هذه الوحدات هي العلامات (Signes)5؛ ومن ههنا فإنّ العلامة اللّسانية في نظر "دي سوسير" هي وحدة النظام، فهي العنصر اللّساني المتكوّن من صورة سمعية (Image Acoustique)، ومفهوم (Concept)، أي الفكرة التي تقترن بالصّورة السّمعية. ثم لا يلبث دي سوسير أن يستبدل هذين المصطلحين (صورة سمعية ومفهوم) بلفظي دال (Signifiant)، ومدلول (Signifié)، اللذين يراهما أفضل من غيرهما لأنّهما يدلاّن على المواجهة التي تفصلهما، والكلّ الذي يجمعهما. إنّهما مختلفان ولكن مرتبطان، لا يوجد أحدهما إلا بوجود

الآخر؛ و لهذا يشبّه "دي سوسير" اللّغة بورقة ذات وجهين، يشكّل فيها الوجه الأوّل الدّال، و الوجه الثاني المدلول، وتمزيق أحد الوجهين ينجرّ عنه حتما تمزيق الوجه الآخر؛ فالفصل بين الصورة السّمعية*6 والتصوّر الذهني مستحيل، ((.. اللّهم إلاّ إذا قمنا بضرب من العزل أو التجريد، ولكنّا عندئذ لن نصل إلاّ إلى "علم نفس" محض أو "علم أصوات" (فونولوجيا) محض))7، و ذلك ما حاول الوقوف عنده حتى لا تتداخل المسائل.

إنّ العلاقة بين الدّال و المدلول، لا تقوم على المشابهة و المناسبة، و إلاّ لما تعدّدت الألسنة؛ بل إنّها تقوم على الاعتباطية، و الاعتباطية في نظر "دي سوسير" ((لا تعني أنّها عائدة إلى اختيار حر يقوم به متكلّم اللّغة، وإنّما تعني...أن الدّال غير معلّل، أي اعتباطي بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أيّة علاقة في الواقع))8؛ فالدّوال لا تولي بمدلولاتها بشكل تلقائي وطبيعي.

وما مردّ هذا إلاّ إلى التواضع الذي يتمّ بين أفراد المجموعة البشرية، والذي يجعل دالا معيّنا يطابق مدلولا معيّنا في الواقع، ومن ثمّ نجد أنّ العلامة اللّسانية هي تقسيم للواقع عن طريق التواضع لا غير، فهي بمعنى الاتفاق والاصطلاح، عكس المفهوم العفوي لدى المتكلّم الذي يرى العلامة اللّسانية كأنّها اسم للواقع.

نجد دي سوسير يقرّ – على الرغم من ذلك – بوجود حالات استثنائية تكون فيها العلاقة غير اعتباطية، بل طبيعية تقوم على المشابهة (Onomatopées) ، غير أنّها تبقى محدودة جداً، الأمر الذي يجعلها عاجزة عن تكوين نظام لساني خاص بها.

إنّنا وإزاء هذا الوضع، قد نجد أنفسنا أمام من يطرح علينا السؤال التالي: إذا كانت العلاقة التي تربط بين الدال و المدلول هي علاقة اعتباطية (Arbitraire)، فما هو الرّابط الذي يربطهما؟.

إن اللّسان باعتباره نظاما من العلامات هو الذي يضبط هذه الاعتباطية، ويعطي القوة البنائية لمكانة الرّابط الذي يجمع بينهما؛ ومن ثم يظهر من خلال مفهوم "سوسير" للدليل، أنّ هناك إقصاءً للواقع الخارجي الذي يحيل إليه الدليل (المرجع Référent)، باعتبار أنّ العلامة من منظور "سوسير" لا تربط بين الشيء والاسم، بل بين المفهوم والصورة السّمعية، لكن العلامة وإن كانت تثير في العقل صورة ذهنية، إلاّ أنّ هذه الصورة الذهنية هي الصورة لشيء موجود في الواقع الخارجي.

لم يقتصر "دي سوسير" على التمييز بين "اللّغة" و"الكلام" وبين "الدّال" و"المدلول"، بل لقد أقام تفرقة أخرى هامة بين "اللّسانيات الداخلية" و"اللّسانيات الخارجية"، على اعتبار أنّ الأولى ((هي بمثابة دراسة محايثة (Immanante) للغة، في حين أنّ الثانية هي عبارة عن درس للعلاقات القائمة بين اللّغة من جهة و بين الدوائر المؤثرة فيها...من جهة أخرى))9؛ أمّا اللّسانيات الداخلية فتقوم على اعتبار اللّغة نسقا لا يعرف سوى نظامه الخاص؛ وهي بهذا شبيهة في سيرها وتفاعلها بلعبة الشطرنج التي يحرّك قطعها لاعب كفيف يجهل النتائج المحصّل عليها، ومعنى هذا أن اللّغة لا تسير وفق قانون معيّن، وإنّما تسيّرها الحاجة الاجتماعية.

وقد يكون في تشبيه اللّغة بلعبة الشطرنج، ما من شأنه أن يعيننا على إدراك النظام الداخلي للّغة إدراكا أفضل؛ إذ يصبح من اليسير علينا أن نميّز في هذا المجال بين ما هو خارجي وما هو داخلي، فكون هذه اللعبة قد

انتقلت إلى أوروبا من بلاد الفرس، يمثّل واقعة ذات طبيعة خارجية، في حين أنّ كلّ ما يتعلّق بنظام اللّعبة و قواعدها يمثل –على العكس من ذلك– واقعة ذات طبيعة داخلية؛ ولو أنّنا عمدنا إلى استبدال قطع الشطرنج الخشبية بقطع أخرى عاجية، لما كان لهذا التغيير أي أثر على نظام اللعبة نفسها، وأمّا إذا عمدنا إلى زيادة القطع أو نقصانها، فلابد أن يكون من شأن هذا التغيير المساس بنظام اللعبة و قواعدها في الصميم.

إنّ هذا المثال ليؤكد أنّ اللّغة نظام أو نسق له قواعده الخاصة، وأنّ مكوّنات هذا النسق مترابطة فيما بينها تَرابط كلّ متماسك، فضلا عن أنّه يعطي الأولوية أو الصدارة للّسانيات الداخلية على اللّسانيات الخارجية، إذ المهم هو التنظيم الباطني للغة لا تاريخها أو نشأتها أو مراحل تطوّرها.

وليست فكرة النظام أو النسق عند "فرديناند دي سوسير" سوى تأكيدا على أن تحديد القيمة لا يحصل إلاّ في النسق، وأنّ القيمة اللّسانية هي علاقة تماثل واختلاف وتقابل بين الأصوات والوحدات الصوتية والوحدات المعنوية و اللّفظية؛ فالوحدات اللّغوية لا يحصل كيانها إلاّ إذا أمكن لألفاظها أن تبادل: أي أن تشير بين الناس بما تعارفوا عليه من معانٍ، أو من دور في التمييز بين المعاني؛ ولا يحصل هذا بالفعل إلاّ إذا اكتسبت كلّ لفظة مجموعة من الصفات تقابل بها كلّ واحدة من الألفاظ الأخرى، وهذا هو ما قصده "دي سوسير" بقوله:((في اللّغة لا وجود إلاّ الاختلافات)) 10، والاختلاف بهذا المعنى، أي التباين والتقابل هو جوهر النظام نفسه.

لم يضع "دو سوسير" الخطوات المنهجية الدّقيقة "للّسانيات الداخلية" التي تدرس نسق اللّغة وقواعدها الباطنية، و نظامها البنيوي ولكن من المؤكد أنّه هو الذي مهّد السبيل لحلول "البنيوية" محل "الذرية"

(Atomisme)، والكلّية محلّ الفردية في مضمار الدراسات اللّغوية عموما والأبحاث الفونولوجية خصوصا، وإن كان هذا هو شأن "اللّسانيات الدّاخلية"، فإنّ اللّسانيات الخارجية على خلاف ذلك، إذ تسترسل في عملية تجميع التفاصيل الجزئية وإضافتها بعضها إلى بعض، دون أن تصل يوما إلى الشعور بأنّها قد أصبحت محصورة بالفصل بين طرفي النظام أو النسق والقيمة.

حين يريد الباحث أن يقف على العوامل التي أدّت إلى ظهور اللّهجات العامية في الدّول العربية مثلا، فإنه لابد واجد أمامه دائما سبيل التعداد أو الإحصاء، فيقف عند نشأتها و انحدارها عن الفصحى الأم، وكيف ابتعدت عنها، ومحاولة إبراز أسبابها الاجتماعية والثقافية و اللّغوية، ومناقشة هذه الأسباب وإعطاء تفسيرات لها عبر المحطات التاريخية التي مرّت عليها الدول العربية (تفكّك الخلافة العباسية، إهمال التعليم، دخول الاستعمار...إلخ)، مع الكشف عن العلاقات و العوامل التي أدت إلى ظهور اللّحن في اللّغة، وزوال الإعراب، وتحريف بنية الألفاظ ودلالاتها مع تقديم الشواهد والأدلة، وغير ذلك ممّا ليس من صميم اللّغة؛ فاللّسانيات الخارجية، لا تهتم سوى بما هو خارج عن اللّغة، على خلاف اللّسانيات الداخلية؛ وفي ظل هذا التمييز، توصل "دو سوسير" إلى التمييز بين الآنية Sun Synchronie = في/Chronos = الزمن)، والزمانية (Dia Diachronie= مع/ Chronos= الزمن).

توجد لدراسة اللّغة التي هي موضوع اللّسانيات، طريقتان ممكنتان تتقابلان حسب "دو سوسير" في حالة من حالات اعتبار اللّغة كنظام قائم بنفسه، أو كنظام متنام، فأمّا الطريقة الأولى فتؤدي إلى الدراسة الآنية، وهي

الدراسة التي تهتم بالنظام اللّساني في ذاته و من أجل ذاته بعزل عن التاريخ و موضوعها أثناء التوازن للنظام في مرحلة معيّنة من الزمان، في حين أنّ الطريقة الثانية تؤول إلى الدراسة الزمانية القائمة على التعقب التطوري للمسار التحولي للّغة عبر التاريخ.

وإذا كانت وجهة النظر الآنية تمثل محورا أفقيا تقوم فيه العلاقات بين الأشياء المتزامنة على أساس ثابت ليس للزمان فيه أي دخل، فإنّ وجهة النظر الزمانية تمثل محورا عموديا، تقوم فيه العلاقات بين الأشياء المتتابعة على أساس التغيّر الزمني أو التاريخي، باعتبارأن "دي سوسير" يذهب إلى أنه ((ليس للدراسة الآنية إلاّ وجهة نظر واحدة، هي وجهة نظر جمهور المتكلمين، ويقوم منهجها بأكمله على جمع شهاداتهم .. وإذا أردنا أن نعرف إلى أي حدٍ يكون الأمر أمرا واقعا بالفعل يجب بل يكفي أن ننظر إلى أي حدّ هذا الأمر موجود في وعي المتكلّمين. أمّا الألسنية الزمانية فيتحتم على أصحابها بخلاف ذلك أن يميّزوا بين وجهتي نظر اثنتين: أحدهما استقبالية Prospective تتبع مجرى الزمن، والأخرى استدبارية Rétrospective تعود فيه إلى الماضي))11؛ وهو ما أسس له دو سوسير لفرق بين المبدأ الضمني والأساسي وبين الآنية والزمانية، إيمانا منه بالانفصالية (Discontinuité)، فالقوانين اللّغوية التي تحكم اللّغة في بنية وحقبة زمانية ما، لايمكن أن تحكمها في الحقبة الزمانية الموالية؛ و هذا يعني أنّ التطور ليس متصلا بل منفصلا، ويتجسد هذا الانفصال في تحدّد القوانين اعتبارا منه أن ((اللّسانيات الآنية فنهتم فيها بالعلاقات المنطقية والنفسية الرابطة بين عناصر متواجدة مكوّنة لنظام قادم كما يدركها وعي جماعي واحد، وأمّا اللّسانيات الزمانية فنهتم فيها على عكس ذلك (كذا)

بالعلاقات الرابطة بين عناصر متتالية لا يدركها وعي جماعي واحد. ويعوض بعضها بعضا بدون أن تكون فيهابينها نظاما قائما))12، وهذا يعني أن الدراسة الآنية، دراسة وصفية تقتصر على النظر إلى حالات اللّغة، في حين أنّ الدراسة الزمانية تاريخية تحرص على وصف تطور اللّغات.

أعطى "دو سوسير" الأفضلية للدراسة الآنية التي تقف وجها لوجه أمام الدراسة التاريخية التي كانت سائدة في معظم الدراسات اللّغوية إبّان القرن التاسع عشر، والتي أملت على علماء اللّسان في تلك الآونة، اعتبار التاريخ بمثابة المنظور الأساسي للغة، واتخاذ التعاقب مبدأ أوليا للتفسير، مع الحرص على تجزئة اللّغة إلى عناصر منعزلة، من أجل البحث عن قوانين التطوّر الخاصة بكل منها على حدة، وهذا ما جعل "دي سوسير" لا ينكر بذلك الطريقة التاريخية، بل إنّ ما ينكره هو تغلّبها على النظرة التي تعمد إلى نظام اللّغة في حالة من تطوّرها، أي أن يعلّل كل شيء في هذا النظام بحوادث الزمان؛ ويبرّر "دو سوسير" لموقفه هذا بأنّ النظام الذي تتصف به اللّغة في وقت معين، لا يمكن أن يُفسّر بالعوامل التاريخية العارضة و الجزئية، إنّما الذي تُفسره هذه العوامل هو تحوّل جزئيات اللّغة المادية، أمّا انتظامها وائتلافها الذي تكتسبه فور فقدانها إيّاه، فراجع إلى أسباب غير عارضة بل مستمرة وباطنية – أي غير خارجة عن نظامها الداخلي – وبها تتكون اللّغة من حيث هي لغة، ولذا يجد دراستها من حيث هي نظام قائم صفته الأساس الآنية.

لاشك أنّ "دي سوسير" حين أعطى الصدارة للآنية، قد وضع بذلك حداً للامتياز الذي أقامه الباحثون السابقون عليه للّغات المتحضرة على حساب اللّغات البدائية؛ وبذلك يكون "دو سوسير" قد فتح السبيل

أمام أهل العلوم اللّسانية للقيام بوصف مماثل لتلك اللّغات التي لا تمتلك أيّ تراث مكتوب، فلا تفاضل بين اللّغات من وجهة نظر اللسانيات الحديثة، إنّها متساوية كلّها في القيمة.

ولعلّ التمييز بين جدول الترابط Paradigme، وجدول السياقSyntagme، يرتبط حتما بالتمييز السابق بين الآنية و التطورية، و ما حملنا على هذا القول إلاّ ورودهما(الجدولين) في القسم الثاني من كتابه" دروس في الألسنية العامة" و المخصص للّسانيات الآنية.

إنّ ما يعنيه "دو سوسير" من مستوى الترابط، هو أنّ الكلمات أو العناصر اللّغوية، تتكوّن عن طريق الربط بين عناصر ذهنية يقتصر فيها الشخص على التقريب بين العناصر التي تشترك في بعض الخصائص، ويُدرك بالإضافة إلى ذلك طبيعة العلاقات التي تربط بينها في كلّ حالة من الحالات، فينشئ بذلك عددا من السلاسل الترابطية يوافق عددا من العلاقات المختلفة، ففي الكلمات التالية: (تعليم: Enseignement/معلّم: /Enseignantيعلّم: Enseigner...الخ) جذر مشترك، و لكن هذه الكلمات قد تدخل في علاقة بمجرّد التشابه و الاشتراك في المعنى؛ فلكلّ كلمة، كلمات، توحي إلينا بما من شأنه أن يرتبط بها بشكل من الوجوه، ففي اللّغة العربية تشترك ألفاظ (الرّجُل ورجل والرجل...الخ)، لتكوّن "مجموعة ترابطية "(Ensemble pradigmatique) تقوم على عنصر مشترك بينها هو اسم رجل.

تعقد الكلمات في مستوى السياق فيما بينها في صلب الخطاب وبمقتضى تسلسلها، علاقات قائمة على الصفة الخطية للّغة كقولنا:"اصطاد بسّام أرنبا"، فلا يمكن أن نضع بسّام و اصطاد في نفس الموقع، إذ تنتظم هذه الوحدات أو العناصر "اصطاد، بسّام وأرنبا" في تسلسل خطي، وتسمى

هذه السلسلة اللّفظية سياقا فالسياق إذن، يتركب دائما من وحدتين متتاليتين فأكثر، والكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلاّ بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً.

أثر اللسانيات في الخطاب النقدي المعاصر البنيوية أنموذجا:

لقد كان للسانيات الحديثة القدرة المعرفية والمنهجية على زعزعة كثير من الأنظمة والقيم والقواعد التي بقيت ردحا من الزمان مسيطرة على توجيه الممارسة النقدية، ومن ثم شكلت اللسانيات المعاصرة ثورة عارمة اجتاحت المعارف وخاصة الإنسانية منها و لا غور.

إن مدراسة أثر اللّسانيات في الخطاب النقدي المعاصر ليس بالعمل الهين، وما أخال دراسة من هذا الحجم مكوّنا من بضع صفحات بكاف لأن يبسط القول في كلّ ذلك، فمنذ زمن ليس بالقريب أخذت عشرات الدراسات تنهال على الساحة النقدية، دراسات خصّصها أصحابها كلّها أو بعضها (فصل أو فصلين) للخوض في الموضوع.

ونظرا لخصوصية الموضوع وتشعبه آثرنا أن نخصص الحديث في هذه الدراسة لأثر اللسانيات المعاصرة في بلورة المعالم الكبرى للبنيوية كاتجاه نقدي معاصر، واختيارنا هذا لم يكن عشوائيا ولا مرتجلا، وإنّما كان خاضعا لجملة من الأسباب أهمها:

- بروز المنهج البنيوي كأحد المناهج الرائدة في النقد النسقي الذي كان للسانيات المعاصرة الدور الرائد في بلورة مفاهيمه وإمداده بالرؤية المنهجية والأدوات الإجرائية.

- جلاء المعالم الأساسية للبنيوية كمنهج نقدي جعله مقاربة لم تعرف التباسا مع معارف أخرى، كما كان شأن للسيميائية — على سبيل التمثيل

لا الحصر – التي لم يستطع كثير من الدارسين المتخصّصين التفريق بينها وبين علم الدلالة (Sémiotique-Sémantique).

– ثم إنّ الدراسات في مجال السيميائية و التفكيكية و الظاهراتية و غيرها، لا تزال ميدانا يجري فيه البحث و لم يفصل في كثير من مسائله الجوهرية، وهذا ما جعلنا الاكتفاء بالبنيوية لأنّ جل مسائلها قد توضحت وأصبحت أودات إجرائية يمكن التعامل بها في الممارسة النقدية.

البنيوية، البنائية، البنيانية، البنوية ... وغيرها، تسميات متعدّدة لمسمى واحد، هذه المصطلحات تردّدت كثيراً في كتب النقد الأدبي وغيرها من الكتب في الآونة الأخيرة؛و ككلّ جديد وافد، أحدثت البنيوية نقاشا وحوارا واسعين بين أنصار هذا المنهج الجديد وبين خصومه ومعارضيه؛ و لم يقتصر النقاش الحاد على كيفية مقاربة الأعمال الأدبية، بل امتدّ إلى تحديد مفاهيم جديدة تماما للأدب والنقد وعلاقتهما بالمجتمع و الإيديولوجيا والأحداث التاريخية والإنسان واللّغة ... إلى آخر ما هنالك من قضايا تتصل اتصالا مباشرا بالعملية النقدية.

لم يقتصر النقاش على فرنسا وكل أوروبا و أمريكا، بل امتدّ إلى وطننا العربي في سبعينات هذا القرن ولايزال؛ وبدا أنّ هناك حماسة كبيرة لدى نقادنا و مفكرينا لهذا المنهج الجديد، تجلّت من خلال الترجمات العديدة لبحوث البنيويين من كتب ومقالات في المجلات والصحف، وبعض التطبيقات على النصوص الأدبية القديمة والحديثة؛ و هذا ما يؤكد رواج هذا المنهج النقدي ((إلاّ أنّ جلّ الدراسات التي تطرّقت للموضوع يغلب عليها طابع الشمولية، ونادرا ما تبتعد عن الأسلوب التقريري، وهذا ما ترتب عنه ... خلط في تداول المصطلحات والمناهج التي تتبنى بشكل أو بآخر النظرية

البنيوية)) 13، مما شكل هاجسا لدى الكثير من المهتمين بهذا المنهج النقدي ودفعهم للعمل من أجل التأصيل و لممارسته النقدية.

إنّ الحديث عن البنيوية ليس بالأمر الهيّن لأنّ مصطلحاتها جديدة تماما، ومبادئها ومفاهيمها غير مألوفة، مما جعل الكثير من الدراسات حولها تتسم بالغموض، لذا فإنّ من الصعوبة بمكان إعطاء تعريف شامل وموحد للبنيوية، وليس أدلّ على ذلك من التعريفات الكثيرة التي نجدها متناثرة هنا وهناك، ولذلك سنسعى بكلّ جهدنا لمحاولة تحديد مفهوم تقريبي لها، ثم نبحث في أصولها الأولى التي ترجع إلى العالم اللّغوي "فرديناند دي سوسير".

البنيوية كلمة مشتقة من كلمة(Structure) المشتقة بدورها من الفعل اللاتيني(Struere) الذي يعني ((الهيئة أو الكيفية، التي يوجد الشيء عليها)) 14، وفي المعاجم العربية بنية الشيء هي ((ما هو أصيل فيه وجوهري وثابت لا يتبدّل الأوضاع والكيفيات)) 15، ويعرّف "لالاند" (A.La Lande) البنية بقوله: ((...نستعمل البنية من أجل تعيين مكوّن من ظواهر متضامنة، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلّقا بالعناصر الأخرى...)) 16، فلا يكتسب دلالته إلاّ في نطاق ذلك الكل؛ إنّها- إذن — حالة تغدو فيها المكوّنات المختلفة الآتية، مجموعة محسوسة أو مجرّدة، منظمة فيما بينها ومتكاملة بحيث لا يتحدّد لها معنى في ذاتها، إلاّ بحسب المجموعة التي تنتظمها.

إنّ البنية تحمل أوّلا و قبل كل شيء طابع النسق أو المنظومة، فالبنية تتألف من عناصر، إذا ما تغيّر واحد منها أو تحوّل، تحوّلت باقي العناصر الأخرى. وبهذا المعنى تغدو البنيوية منظومة علاقات وقواعد تركيب بحيث يتحدّد المعـــنى الكلّي للمجموعة من خلال المعنى العام للعناصر ذاتها.

وفي هذا يقول "كلود ليفي ستروس": ((في الواقع...النماذج التي تستحق اسم بنية، يجب أن تلبى حصرا شروطا أربعة:

أولا: تتسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من عناصر يستنتج تغيّر أحدها تغيّر العناصر الأخرى كلّها.

ثانيا: كل نموذج ينتمي إلى مجموعة من التحوّلات التي يطابق كل منها نموذجا من أصل واحد، بحيث أنّ مجموع التحوّلات يشكل مجموعة من الخارج.

ثالثا: إنّ الخصائص المبينة أعلاه تسمح بتوقع طريقة ردّ فعل النموذج عند تغيّر أحد عناصره. و أخيراً، يجب بناء النموذج بحيث يستطيع عمله تسويغ جميع الوقائع الملاحظة))17.

ولقد حاول "جان بياجيه"(J.Piaget) إعطاء مفهوم للبنيوية فقال: ((...إذا ركّزنا على المميّزات الإيجابية لفكرة البنية، نجد .. مثلا أو آمال من الوضوح الضمني تتركّز على المسلمة القائلة إن البنية تكتفي بذاتها...))18؛ و عنده أنّ البنيـــة تتألف من ميزات ثلاث: الجملة أو الشمولية (La totalité)، التحويلات (Les transformations)، والضبط الذاتي (L'Autoréglage).

فالجملة تحيل على التماسك الداخلي للعناصر التي ينتظمها النسق، وتحيل التحولات إلى أن البنية لا تعرف الثبات، و إنّما هي دائمة التغيّر، والتحوّل؛ وفي مستطاعها توليد العديد من البنى الداخلية. أمّا الضبط الذاتي، فيتكفل بوقاية البنية وحفظها بشكل من أشكال الانغلاق حفظا ذاتيا، ينطلق من داخل البنية ذاتها لا من خارج حدودها.

هذا، ويعترف "بياجيه" بصعوبة تعريف البنيوية لما تنطوي عليه من أشكال متنوعة تمثل مخرجا مشتركا، ولأنّ البنيات التي تستند إليها، لها

مدلولات مختلفة، فالبنيوية ليست حكرا على اللّسانيات والنقد الأدبي فحسب، بل تتجاوزهما إلى ميادين أخرى.

لقد صار من البديهي القول بأنّ العالم اللّغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" هو المؤسس الحقيقي والأوّل للحركة البنيوية الحديثة، من خلال كتابه(دروس في الألسنية العامة) (Cours de linguistique général)، الذي ضمّنه دراسة علمية بنيوية مستفيضة، فصل فيها بين اللّغة والكلام.

فاللغة نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، في حين أنّ الكلام هو منها بمثابة التحقيق العيني الفردي. ومعنى هذا، أنّ اللّغة تقنين اجتماعي، أو مجموعة من القواعد(Codes)، في حين أنّ الكلام فعل فردي يقوم به شخص ما في حديثه مع أشباهه؛ وتبعا لذلك، فإن موضوع اللسانيات الحقيقي و الوحيد هو اللّغة منظور إليها في ذاتها ولذاتها.

انطلاقا من هنا، فإنّ البنيويين يرون بأنّ موضوع الأدب هو الأدب نفسه، فهو في منظورهم ((كيان لغوي مستقل، أو جسد لغوي، أو نظام من الرموز والدّلالات التي تولد في النص وتعيش فيه، ولا صلة لها بخارج النص))19، إنّه جوهر قائم بذاته، و عالم ضخم لا تحدّه الحدود.

وكان أن هاجم البنيويون نتيجة لذلك - وبعنف- المناهج التي تعكف على دراسة الأدب بما هو خارج عنه، و اتهموها ((بأنها تقع في شرك الشرح التعليلي!...لأنّها لا تصف الأثر الأدبي بالذات حين تلحّ على وصف لعوامل الخارجية...لذلك ينطلق البنيويون من ضرورة التركيز على الجوهر لداخلي للنص الأدبي))20، لأنّ العمل الأدبي كما يرونه له بنية مستقلة؛ هذه البنية، هي التي تضفي على العمل الأدبي صفة الأدبية.

وإذا كان دي سوسير قد عرّف اللّغة بأنّها نسق من الدلائل، فإن البنيويين يعرّفون النص بأنّه نظام مستقل من الدلائل، تدخل الوحدات الدالة فيه في علاقة متبادلة فيما بينها؛ وفكرة النظام الذي يتحكم بعناصر النص مجتمعة، والذي يمكن الوصول إليه من خلال إظهار شبكة العلاقات العميقة بين المستويات النحوية والأسلوبية و الإيقاعية، مستمدة من فكرة العلاقات اللّغوية التي تعدّ أساسا من أسس نظرية "دي سوسير"، والتي وضحها حين قال بأن اللّغة ليست ألفاظا محدّدة الدلالات، و لكنّها جملة من العلاقات، فدلالة اللفظة لا يتحدّد إلاّ بعلاقتها مع عدد من الألفاظ وبالتالي فإن مقاربة الألفاظ في حدّ ذاتها لا يمثل بناء اللّغة، بل إنّ بناء اللّغة أو نظامها لا يتمثل إلاّ في العلاقات بين الألفاظ.

والبنيوية في شكلها الأوّل، هي الواجهة المنهجية للسانيات الآنية، ذلك أنّ السنكرونية التي هي أساس الرؤية البنيوية، تمثل مبدأ الرؤية الأفقية لأنّها مقولة لا تؤمن بالأشياء، وإنّما تؤمن بالعلاقات الرابطة بين الأشياء، على عكس الزمانية أو التطورية التي تقوم على مبدأ أنّ حقيقة الظواهر تكمن في غيرها لا في ذاتها. ومن ثم، فإنّ البنيوية تنظر إلى النص على أنه ساكن غير متطور، أي لا يتأثر ولا يؤثر، ولذلك، لا تعترف بتطور الأشكال الأدبية والفنية، بل إنّها تلغي تاريخية النص، كل ذلك بدعوى توخي الدّقة والموضوعية في سبيل الحرص على أدبية الأدب.

إنّ القول بالسنكرونية كنزعة لا تاريخية، ورؤية سكونية للنسق، حدا بالعديدين إلى انتقاد البنيوية؛ و لقد كان البنيويون منذ "سوسير" على وعي دائما بمثل هذا الاهتمام إيمانا منهم أنّ الجمود لا يوجد أبدا، بل كل أجزاء اللّغة هي خاضعة للتغيير، وهذا ما دفع "برومان جاكبسون"(Roman

Jakobson) إلى تعديل المصطلح، والقول بـــ(السنكرونية الديناميكية)، التي طبّقها "أندري مارتيني"(André Martinet) في دراسته الفونولوجية حول التطور الصوتي.

كان أن أخصبت مدرسة الشكلانيين الروس (Les Formalistes Russe) التي تمثّل حلقة من سلسلة اللّسانيات، المنهج البنيوي من خلال البحوث التي قدّمها أتباعها، والتي تتخلص في اعتمادهم مفهوم الأدبية منطلقا تحليليا، وفي تأكيدهم على أنّ الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله؛ فقد ركزّوا اهتمامهم على العناصر النصية، وعلى العلاقات المتبادلة بينها، وعلى وظائفها في السياق النّصي، كما أسّسوا لغة نقدية شارحة تستمدّ خصوصيتها من هذه الإجراءات الاصطلاحية (السلسلة، النسق، الهيمنة، الإجراء، المبنى...).

مع الشكلانيين الروس كان أوّل ظهور لاصطلاح(البنيوي) الذي أصدره "جاكبسون" (R Jakobson) وتينيانوف (Tinianov) سنة 1928، في خصوص العلاقة بين نماذج التحليل اللغوي و الأدبي؛ و قد ظهر المصطلح بطريقة منهجية مقصودة، عكس استعمالاته العفوية السابقة؛ ثم انتقل ميراث الشكلانيين الروس إلى تشيكوفاكيا من خلال حلقة براغ اللّغوية (1926-1948)، بفضل "جاكبسون" و"تروتبتسكوي" (Trobtzkoy).

ولقد قدّمت النصوص الأساسية لحلقة براغ إسهاما بنيويا فعّالا، يتضح في تأكيدهم على التحليل الآني لمستويات اللّغة، والتمييز بين اللّغة المنطوقة واللّغة المكتوبة، والنظر إلى اللّغة من جانبها الوظائفي؛ ويعتبر التحليل الوظائفي الذي اعتمده "فلاديمير بروب" (Vladimir Proop)، خير ما يمثل إسهام حلقة براغ في المجال البنيوي؛ ومن أجل التوصل إلى بنية الأثر

العربي منه يدخل في حلقة مفرغة أسست لها عوامل العطالة في حساسية الناقد العربي بسيطرة المصطلح النقدي المصطلح الغير متبلور الذي يمكن أن يؤدي الفكرة أداءً قائما على التبصر و السبر و التمحيص.

إشكالية ترجمة المصطلح اللسانياتي في الخطاب النقدي المعاصر:

إنّ الحديث عن المصطلح عامة، أصبح ذا أهمية كبرى في العالم بعد الذي عرفته البشرية من تقدم في العلوم، وما شهدته التكنولوجية من نمو واكتساح لجميع مجالات العلم والحياة، فهو علم العلوم وجواز سفر للمستقبل.

للمصطلح تأثيرات تتصل بالجوانب الفكرية العامة، لأنّه صورة مكثّفة للعلاقة العضوية القائمة بين العقل واللّغة، كما أنّها تتصل أيضا بالظواهر المعرفية لأنّ المصطلحات في كل العلوم هي بمثل النواة المركزية التي بواسطتها يتسع أو يضيق مجال التطور المعرفي ويتثبت بها التطور المعرفي لأمة من الأمم؛ لذلك عدّت المصطلحات جسورا واصلة بين اللّغات الإنسانية، فأخذ بعض اللّغات من البعض الآخر لا يجعل من الآخذ بالضرورة مسلوب الإرادة، بل يجعل منه مجتهدا في سبل الأخذ؛ و هنا تكمن أساسيات إشكالية ترجمة المصطلح بحسب الثقافة والرؤية التي يحملها المترجم.

إذا رحنا نتأمّل في مفهوم المصطلح، لاتضح لنا أنّه من أكثر المفاهيم غموضا والتباسا على الرّغم من كثرة تداوله، لأنه لغة خارج اللّغة أو فوقها، فهو لا يرضخ قواعدها الصارمة، ولكنّها لا تخرجه من دائرتها، وبذلك نجده لا يستقل كليا عنها، بل هو دائم الخروج عنها خروج لابن البار، والدخول إلي ثناياها، ولكنّه بالرغم من ذلك – يظل محتفظا لنفسه بمسافة تميّزه– حتى وهو في قلبها عن سائر مفرداتها.

الأدبي، ينبغي تجزئة العمل المنقود إلى وحدات أساسية ووحدات ثانوية؛ فالوحدات الأساسية، هي الوظائف المعبّرة عن أعمال الأشخاص، وهي ثابتة دائما بالرّغم من تعدّد هويّات الأشخاص الذين يقومون بها. أمّا الوحدات الثانوية فهي التي تملأ الفضاء في العمل الإبداعي وبخاصة السردي منه السّردي بين وظيفتين أساسيتين.

لكـــن هذه الروافد البنيوية، لم تأخذ صيغتها المنهجية النقدية المنتظمة إلاّ مع المدرسة الفرنسية ممثلة بجماعة(Tel quel) ومجلتها الموسومة بالاسم نفسه، والتي أسسها الناقد والروائي "فيليب سوللرس" سنة 1960، والتي كان من أبرز فرسانها (رولان بارث، ميشال فوكو، جاك دريدا، جوليا كريستيفا...).

أثرت اللّسانيات تأثيرا كبيرا في الدراسات النقدية التي ظلت تستخدم المنهج البنيوي زمنا طويلا، لكن هذا لا ينبغي أن يحول دون حقيقة أنّ المنهج البنيوي كانت له سلبياته كما كانت له إيجابياته، وهذا لا ينقص من قيمة المنهج الذي كان الهدف منه دراسة العمل الأدبي دراسة علمية خالصة له وحده، عكس المناهج السياقية التي راحت تبحث عن قضايا لا تمت بصلة إلاّ قليلا، إلى العمل الأدبي. فإنّك تجد عملا نقديا تخصّص له حياة الشاعر أو الأديب وحالة بيئته وغيرها صفحات كثيرة جداً، ولا يحظى العمل المنقود إلاّ ببضع صفحات لا تكاد تغني أو تسمن من جوع.

إنّ توافر النظريات اللّسانية و ما أنشأته من مصطلحات، قد أدخل علينا إشكاليات لم نتعامل معها في ممارستنا للعملية النقدية، وأصبحت هذه المصطلحات تكون مشكلا قائم بذاته عوضا عن أن تكون مساعدا يقرّبنا من هذا العلم الدخيل علينا؛ وهذا ما جعل الخطاب النقدي المعاصر وبخاصة

تغدو اللّغة الاصطلاحية – من هذا المنظور – تكريسا لطبقية اللّغة، حيث أنّ المصطلح لفظ تجعله الأسيقة المحيط به لأن يبرز و يتفرد بخصوصية ومن ثم استقلالا ذاتي، فلا يسمح بالتعامل معه إلاّ بشروطه الخاصة، وكأن المصطلح عندئذ هو الذي يستخدم المتكلّم/ الكاتب و ليس العكس؛ لذلك فالمصطلحات لا توضع ارتجالا، ولا بدّ في كل مصطلح من وجود مناسبة، أو مشاركة، أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللّغوي ومدلوله الاصطلاحي.

وعلى الرغم من أنّ القول بالتظافر الحاصل بين النقد الأدبي والمعارف اللّغوية، يشوبه من حين إلى آخر بعض التحفظ، وإن لم يُشكّ فيه يوما، فإنه قد أصبح من الثابت لدى معشر النقاد، أنّ المصطلح النقدي شرط لا غنى للنقد الأدبي عنه، ((لأنّ كشف أسرار الآليات المفهومية، مرتبط بكشف أسرار الآليات اللّغوية المتحكمة بكل ذلك))21؛ وبذلك ندرك أنه إذا كان المصطلح النقدي أداة ضبط للمعرفة و توحيد للفكر، فإنّه يعدّ بمثابة سور منيع يحول دون اختلاط ما يضمّ في داخله بما هو واقع في خارجه، ولكننا نجده في كثير من الأحوال يخرج من نطاق العرف اللّغوي العام، ليدخل في مجال العرف اللّغوي الخاص، وبعد أن يأخذ في الانتشار مع تزايد تداوله، يتعرّض لشيء من التشويه قد يقلّ وقد يكثر، خصوصا عندما يجاوز نطاق لغته الخاصة إلى لغة أو لغات أخرى.

يلحق تشويه المصطلح من عدّة جهات فإمّا أن يأتي هذا التشويه نتيجة لاختزال أو توسيع نطاق دلالته، بحيث يلحق إليه ما ليس منه. وقد يلحق التشويه المصطلح عند استعماله في غير التخصص الذي وضع له أصلا، وبغير المعاني التي وضعت له؛ أمّا إذا ترجم المصطلح فإن التشويه

والخيانة لاحقة به في كثير من الأحايين بخاصة إذا كنا لا ندرك خصائص اللغة الأم و خصائص اللغة المترجم لها؛ وكم هي عديدة تلك المصطلحات التي قد سيء استعمالها، فانتهك استعمالها وحُرف، فتشعبت دلالاتها، وصارت بذلك عامل تشويه في الحياة الفكرية للأمة، في حين أن التفكير في إيجاد المصطلحات و نحتها لم يكن إلا بدافع خدمة الحياة الفكرة للأمم.

من ثم غدا التشكيك بالمصطلحات وعدم الثقة بها في الثقافة العالمية، أمرا طبيعيا و مألوفا لدى المشتغلين بالحقول المعرفية عموما وبحقل النقد الأدبي خصوصا، وهذا ما دفع بإشكالية المصطلح إلى أن تأخذ طابع الهاجس لدى العاملين في حقلها، ومن ثم ندرك أن إشكالية المصطلح ليست ظاهرة خاصة بالثقافة العربية وحدها، فهي ظاهرة مشتركة ومستفحلة في جميع الثقافات الإنسانية، غير أنّ حدّها تتفاوت من ثقافة إلى أخرى، باختلاف درجة الوعي لدى كل منها. فالمجتمعات التي لا تنتج المعرفة وتكتفي باستهلاك ما يفد إليها، هي وحدها التي تعاني بدرجة كبيرة من الأزمة التي تتسرّب إلى قاعدة الهرم المعرفي الذي ينبني عليها النقد الأدبي، فتُحدث فيه اهتزازا واضطرابا، وهنا مكمن الخطورة والالتباس.

وتضاف إلى هذا السبب أسباب أخرى نجملها في المسائل التالية:

- غياب البحوث الجماعية و التنسيق بين الباحثين.
- استعمال المصطلح رغبيا(يخضع لميول شخصية)، دون محاولة ربطه بمحموله المعرفي الذي من أجله وضع هذا المصطلح أو ذاك.
- تباين الاتجاهات في تحديد مجال الظاهرة، ووضع المصطلح قبل الوقوف على جوهرها. من ذلك مثلا أنّ السيميائية عند "رولان بارث" (Roland Barthes)، جزء من اللّغة، أو هي فرع من فروع اللّسانيات. أمّا "جورج

مونان" (George Mounin)، فيرى أنّها تشمل اللّغة، بمعنى أنّ اللّغة جزء من السيميائية و ليس العكس(يحذو في ذلك حذو سوسير). في حين يجعل "امبرتو إيكو" (Embeto Ecco) السيميائية فرعا من علم الدلالة.

- ندرة البحوث المواكبة للتطوّرات النقدية و اللّسانياتية المعاصرة.

- عدم تحديد الضوابط و الآليات السليمة التي يمكن في ضوئها، صياغة مصطلحات مقبولة.

لهذه الأسباب، ولأسباب أخرى، تظل ظاهرة التداخل والقصور والتعدّد في المصطلحات اللّسانياتية والنقدية، مشكلة حاضرة و مستقبلية ما لم يتم الإسراع في إيجاد حلول في شكل ضوابط خاصة بصياغة المصطلحات تكون في متناول الدارسين فتضيق دائرة الاختلاف و الاضطراب.

تجتهد الكثير من الجهات العلمية في الوطن العربي لتقديم حلول المقدمة في سبيل إنهاء هذه المعضلة، إلاّ مفعولية الاجتهادات لا تأتي بالنتائج المرجوة إلا إذا كانت الأمة هي تنتج التراكم المعرفي، وإن كنا ندرك أن الإشكالية في حاجة إلى ما سبق ذكره من إنتاج للمعرفي ينضاف إليها شروط موضوعية أخرى أكثر تشعبا، ولذلك لا بد من إعادة النظر في القضايا الكبرى التي تؤسس للثقافة العربية عامة واللغوية والنقدية منها خاصة قلبا وقالبا.

كما يجب على المترجم أن يخضع للشروط التالية:

- أن يكون متقنا اللّغة العربية، عارفا بقواعدها الصّرفية والنحوية، قادرا على الأداء بها بعبارات سليمة خالية من الخطأ والحشو والرّكاكة.

- أن يكون متقنا اللّغة الأجنبية التي ينقل منها قواعدا وأسلوبا.

- أن يكون ملمّا بأساليب الترجمة و مطّلعا على المصطلحات وطرائق الوصول إليها في المعاجم العامة والمتخصّصة.

- أن يكون متمكّنا من موضوع الكتاب المترجم، متخصصا فيه.

- أن يكون مطّلعا بقدر كافٍ على علوم الترجمة وعلوم اللّسانيات، وعارفا استخدام التقنيات الحديثة المفيدة في الترجمة.

ترجمة المصطلح في النقد العربي المعاصر [السيميائية أنموذجا]

إنّ دراسة النظام الإشاري دراسة قديمة قدم الكون نفسه، ولكن المنطلقات النظرية لهذه الدراسات اختلفت من زمن إلى زمن آخر، و من أمّة إلى أمّة أخرى، و ذلك لاختلاف الثقافات و المراحل التاريخية، ((وقد وصل إلينا بعض التأملات والأفكار والسيميولوجية من حضارات قديمة جداً، كالحضارة الصينية والهندية واليونانية والرومانية والعربية، إلاّ أنّ هذه الأفكار والتأملات السيميولوجية بقيت في إطار التجربة الذاتية، و لم تدخل إطار التجربة العلمية الموضوعية))22، التي صبغتها بها الدراسات الألسنية المعاصرة.

كان "جون لوك"(John Locke) سبّاقا إلى ابتكار مصطلح السيميائية رفقة فلاسفة آخرين، من أشهرهم: "لايبنتز" (Leibnitz)، "بيكون"، "ريكنس"، و"دالغارنو"، ولكن الدراسة السيميولوجية حتى تلك الحقبة لم تخرج عن المنظور العامة الذي يؤسس للغة، و فلسفتها النظرية؛ ولم تصبح السيميولوجية علما قائما بذاته، إلاّ بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي "شارل سندرس بيرس"(Charles Senders Peirce)؛ والسيميوتيقا طبقا لاعتقاده هي علم الإشارة الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى؛ إذ يؤكد لذلك انطلاقا من أنّه لم يكن

باستطاعته دراسة أي شيء كان سواء أكانت ، المتافيزيقا، البصريات، علم الأحياء، علم الأرصاد الجوية، الرياضيات، الجاذبية والدينامية الحرارية، الأخلاق، علم الكيمياء، علم النفس، التشريح المقارن، الفلك، علم الأصوات، الاقتصاد، تاريخ العلوم، لعب الأوراق، الرجال والنساء، الخمر، إلاّ باعتبارها تيمات للسيميوتيقا.

يصبح العالم كلّه - هكذا - علامة كبرى لدى "بيرس"، هذه العلامة تتفرّع إلى علامات لا نهائية وفق نسق تلتقي فيه الأضداد، ويشكل فيه التباين والاختلاف النظام الأساس الذي يبنى عليه تناسق الوجود، وهذه العلامات المتولدة من العلامة الأم ليست حكرا على النشاط الإنساني بل تشمل حتى النشاط الحيواني والطبيعي، ولكن يبقى الإنسان باعتبار كائنا متميزا يستعمله استعمالا له من الخصوصية والتعقيد الشيء المتميز، حتى أصبح هو في ذاته علامة، هذا وإن كانت الكتابات التي تناولها "بيرس" قد تنوّعت تنوع الموضوعات التي ذكرها آنفا، فإنّه قد فشل في صياغة عمل منفرد، متماسك ومنسجم، يمكنه تلخيص المبادئ الأساسية لعلم السيميوتيقا.

اتخذت السيمولوجيا مع ظهور كتاب "دروس في اللّسانيات العامة" لـــ"فرديناند دي سوسير"، اتجاها آخر، ذلك أنّ "دي سوسير" كان قد تطلّع إلى السيميولوجية بمنظار لساني لا فلسفي كما فعل "بيرس"، فكانت تفسيراته وأفكاره السيميولوجية محدودة، وذلك لأنّه تطرّق إليها خلال حديثه عن الإشارات اللّغوية فقط.

إن اللغة طبقا لاعتقاده، نظام إشاري؛ وهي فرع من أنظمة إشارية عديدة، تدخل كلّها ضمن إطار السيميولوجية؛ فـــ ((اللّغة نظام إشاري

يعبّر عن الأفكار ... وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الألفبائي للصّم والبكم، وبالنظام الإشاري العسكري، وبالنظام الإشاري النقشي ... الخ. إنّ العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات، يمكن أن يكون جزءاً (كذا) من علم النفس الاجتماعي. وبهذا سوف أدعو هذا العلم سيميولوجيا(Sémiologie). هذا العلم يستطيع أن يبيّن بنية الإشارات، ويبين بالتالي الأنظمة والقوانين التي تحكمها))23، وتؤسس لها وفق رؤية سيميولوجية.

السيميولوجيا – إذن – علم يهتم بدراسة حياة الدّلائل داخل الحياة الاجتماعية، و يحيلنا إلى معرفة كنه هذه الدّلائل و علّتها وكينونتها و مجمل القوانين التي تحكمها، فالكون مركب دلائل، وبذلك كانت السيميولوجية بحسب "دي سوسير"، علم يبين لنا عمل الدلالات والقوانين التي تتحكم فيها.ينضاف إلى ذلك أنه يركز على دراسة حياة الدلالة دراسة شاملة وعامة لكل مظاهرها العلامة.

لقد اتخذ "دي سوسير" من اللغويات نظاما أسمى لكل نظام سيميولوجي، فعنده أنّ اللّغة هي النظام الوحيد الأكثر دلالة و إيحاءً، بل إنّ السيميائية قائمة على أساس لغوي مبنية عليه من حيث كونها تمثّل النظام الاجتماعي الذي يرتكز على أساسه البحث السيميائي؛ ومن ثمّة فسيميولوجيا خاصة بهذه الوقائع الاجتماعية (اللّسان)، وفي هذا إخضاع الأنظمة السيميولوجية إلى الأنظمة الألسنية، وبذلك لا يمكن فهم العلامة السيميولوجية، إلاّ من خلال العلامة اللّغوية، و هذا ما دفع "دي سوسير" إلى أن يرسي قواعد حديثة للّسانيات؛ وكان الأول من أحدث الفصل بين

اللّغة و الكلام، إلاّ أنّه ضيّق أفق السيميولوجية التي ألّحت على الطبيعة الاجتماعية لموضوعها، و انطلاقها من منظور لساني بقيت تدور في فلكه.

ينحدر مصطلح "السيميائية" من الجذر اليوناني(ساما)؛ ومنه (سامايون) الذي يعني علامة مميّزة (خصوصية)، أثر، قرينة، سمة مؤشرة، دليل، سمة منقوشة أو مكتوبة، بصمة، رسم مجازي، كما تشير إلى ذلك "جوليا كريستيفا" (Julia Kristiva)؛ ((وهكذا صيغ كل من ساميولوجي و ساميوتيك و جرى تداولهما مجاري شتى، حتى تداخل استعمالهما في اللّغة الأجنبية فتعقّد أمرهما في حركة نقل المفاهيم النقدية لدينا، و تشابك الاصطلاح عليهما في العربية بما لا يقلّ عن تشابكه في الفرنسية أو الإنجليزية))24، وذلك ما هيأ لظهور تباين في ترجمة المصطلح، فبات هذان المصطلحان (ساميولوجي و ساميوتيك) يشكلان ثنائيا متلازما، من حيث إنّ الزوج هو ثاني اثنين مقترنين، فهما يردان إمّا مترادفين وإمّا متقاطعين. وبذلك ظلّ المشتغلون بحقل السيميائية فترة زمنية طويلة، وهم يحاولون تحديد الفرق بينهما، فإذا كان كلّ منهما يحدّد حقلا معرفيا لا يعدوه، ولا ينبغي أن يمتدّ إليه سلطان المصطلح الآخر، فيجب عندئذ تحديد ذلك بشيء من الصرامة العلمية.

ينبغي أن نشير في البدء – قبل أن نمضي إلى عرض آراء المنظرّين السيميائيين حول هذه المسألة – إلى أنّ هذين المصطلحين يشتركان في أنّ كلا منهما يبتدئ ب (Sémio)، ويعني السّمة، ويفترقان في أنّ أحدهما ينتهي باللاّحقة (Logie) وتعني الخطاب، على حين ينتهي الآخر باللاّحقة (Tique)، وتعني النسبة الديداكتيكية. فهل هما إذن اسمان لمسمى واحد ؟ أم أنّ كل منهما له حقله الخاص به؟.

لا يعدو مصطلح(Sémiotique) كونه إلحاقا إلى الكلمة الموضوعة لهذا المفهوم الذي هو السّمة، وهو من هذه الناحية شبيه بالترجمة العربية (السيميائية)، إذ ياء النسبة لا تستطيع أن تعبر عن الدلالة العلمية التي يعبر عنها (Logie)في الثقافة الغربية الذي يدل على مفهوم العلم، فالياء في الترجمة العربية ياء أقرب إلى النسبة، أو إلى الاشتغال، أو العلاقة بالعلم، أكثر من دلالتها على العلم نفسه؛ و لكن على الرغم من ذلك نجد أن في "المعجم الموسوعي لعلوم اللّغة" إشارة إلى المصطلحين على أنّهما وجهان لمفهوم واحد، فقد ورد أنّ "السيميائية" أو "السيميوتيك" هي علم العلامات.

وتطالعنا "جوليا كريستيفا" في مقال لها نشرته بـــ"الموسوعة العلمية"، بجعلها المصطلحين "السيميولوجيا، أو السيميوتيكا"شيئا واحدا، إذ نجدها توظف المصطلحين معا دون أن تتحرج أو تشير إلأى أن هناك فرق بينهما، و قد تكرّر استعمالها للمصطلحين مستعملة بينهما "أو" الاختيارية عدّة مرات في مقالها، الأمر الذي يدل على أنّها تستعمل المصطلحين للدّلالة على مدلول واحد.

في حين فرّق "جورج مونان" بينهما، فجعل السيميائية معادل للسيميولوجية، وبخاصة عند شارل موريس بالولايات المتحدة الأمريكية، الذي يستعمله للدّلالة على نظام من العلامات غير اللغوية، مثل إشارات المرور.

وفي قاموس اللّسانيات لـــ"جون دو بوا" ورفاقه، أنّ "مصطلح" السيميائية في توظيفه المعاصر، قد استعمله شارل بيرس. والسيميائية التي نظر فيها هي مذهب العلامات التي تستوجب أن تكون خصائص العلامات المستعملة من قبل العبقرية الإنسانية في مسعاها العلمي؛ وأنّ السيميائية

المعاصرة بريادة "أ.ج.غريماس" (A.J.Greimas) و"جوليا كريستيفا" تحاول أن تبتعد عن إعطاء الأفضلية والأولوية للعلامة اللغوية، وهذا يعني أنّ السيميائية معطى ثقافي أمريكي بالدرجة الأولى، يحيل على مفاهيم منطقية وفلسفية، وعلامات غير لغوية، وأنّ السيميولوجية معطى ثقافي أوروبي أساساً، هو أقرب إلى العلامات اللّغوية، والمجال الألسني عموما، منه إلى علامات أخرى.

لكن عبثا حاول بعضهم حصر السيميولوجية في مجال العلامة اللّغوية والسيميائية في مجال العلامة الغير لغوية، إذ لم يتقيّد النقاد السيميائيون بهذه الفروق بين المصطلحين، و ظلّوا يتساهلون في استبدال أحدهما بالآخر، الأمر الذي دفع كلا من "غريماس" و"جاكبسون" و"كلود ليفي ستروس" و"بنفنست" و"بارث"، لتوقيع اتفاق علمي سنة1960، ينص على اصطناع مصطلح "السيميائية" (Sémiotique) وحسب. لكن تجذر مصطلح السيميولوجية (Sémiologie) في الثقافة الغربية، جعل نسيانه أمرا مستحيلا ومستبعدا، يتجلى ذلك بصفة خاصة، في عودة "غريماس" نفسه عن قراره، إذ نلفيه يميل إلى أنّ المصطلحين يعنيان شيئين مختلفين. ونتيجة لذلك، وبتوجيه من "يالمسلاف"، يرى "غريماس" بأنّ لـــ (Sémiotique) باستعماله في حال الجمع يعني البحوث المتعلقة بالحقول الخاصة مثل الأدب و السينما و الإشارية و غيرها، على حين أنّ مصطلح (Sémiologie) (السيميولوجيا) يستعمل للنظرية العامة لكل هذه السيميائيات.

إنّ تعدد التعريفات لمصطلح هذا الحقل المعرفي في الثقافة الغربية، يؤكد حقيقة مؤداها أنّ هناك تيارات عديدة للسيميائية، أي أنّنا أمام

سيميائيات لا سيميائية واحدة؛ وقد كان عدم الاستقرار على مصطلح واحد لهذا العلم، سببا في جعل كثير من الدارسين يواجهون صعوبات في أن يقفوا على إدراك جهاز المفاهيمي، وتناسق مقولاته، وتوحيد أدواته الإجرائية في أثناء الممارسة النقدية.

بالرّغم من انعقاد ملتقيات دولية حول السيميائية، و محاولاتها الجادة في توحيد المصطلح، إلاّ أنّ المشكل ظــلّ قائما، وبدا هذا واضحا في الحوار الذي عقده (Rogger Paul Droit) مع "غريماس" في جريدة (العالم) (Le monde) الباريسية سنة 1974، فبعد أن سأله بقوله: ((إنّكم تتحدثون أيضا عن السيميولوجيا، أكثر من السيميوطيقا. فهل بالإمكان توضيح الفرق بينهما؟)) أجاب غريماس (إنّ الأمر قد حسمته الجمعية السيميائية في ملتقاها عام1968))، وأنّ الخوض في مثل هذه المسألة، هو من صميم الجدل العقيم الذي لا طائل من ورائه يُرجى، وأنّ هناك قضايا تستحق الاهتمام أكثر من الانشغال بأمور ساذجة.

ابتداءً من مطلع الستينات من هذا القرن، اتسع الاهتمام بالحث في مجال السيميائية بفرنسا، ثم امتدّ إلى خارجها، وذلك مع ظهور القاموس المصطلحي الضخم الذي ألّفه "غريماس" و"كورتاس" سنة 1979 (Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage)، والذي قعّد المفاهيم السيميائية، وأرسى معالمها في كثير من الأقطار.

خلال الثمانينات، انتقلت ظلال الدراسات السيميائية إلى البلاد العربية، وكشأن أي جديد يفد إلينا، حار النقّاد واختلفوا في ترجمة المصطلح، فإذا نحن أمام ركام اصطلاحي؛ ولعلّ مردّ ذلك، إلى أنّ السمة في المعاجم العربية تقابل مصطلح العلامة. فأصلها من الوسم، وهو إحداث تأثير أو عَلْم تصبح

سمة عارضة، أو دائمة. كما نجد أن مصطلح سيميائية يلتبس بمصطلحات أخرى كـ(الدليل، الإشارة، الرمز، الأمارة، الآية، الشبهة، الأثر، الحجة، الرسم، الختم، والطبع)، ومن هنا اختلف السيميائيون في مقابلة مصطلح (Signe) بمصطلح عربي ومن ثمّة، اختلفوا في ترجمة مصطلح (Sémiologie).

سيظل مصطلح سيميائية مفضلا عن غيره من المصطلحات على الرّغم من الترجمات العديدة للسيميائية السيميولوجيا، السيميوطيقا، علم العلامات، العلامية، علم الدلالة، الأعراضية، السيميوتيكية، علم الإشارات، علم الرموز، علم الأدلة، الدلائلية، السيميائية)، لرسوخه في التراث العربي، وقابليته لاحتواء مقولة السيميائية الحديثة.

لعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ المناهج التي درست النصوص الأدبية على اختلاف أجناسها، كثيرة ومتعدّدة، وكل منهج من هذه المناهج، كان لابدّ أن ينطلق من مبادئ فكرية ونظام معرفي متكامل، وأن يتعامل مع النصوص بمفاهيم و مصطلحات نقدية، و هذه المفاهيم ليست بجّانية في استعمالاتها، بل لها وظيفة تؤديها في سياق الدراسة النّصية.

إنّ هذا الرصيد الفكري المختص، هو الذي يؤهل الناقد إلى قراءة النص الأدبي مدفوعا بحبّ الاكتشاف ومسكونا بالرغبة في تجلية المكنون وإظهار الغوامض، ومغامرا من أجل تعرية أسرار الجمال في النص، ومنقبا عن المدهش فيه، وهو قبل هذا وذاك يهدف إلى الظهور بمظهر العلمية في منهجه وطريقة تحليله، وإضفاء الموضوعية على ما يتوصل إليه من أحكام نقدية.

ويمكن أن يخرج الدارس من كل ذلك بملاحظة مفادها أنّ التّنوع في القراءات، و التعدّد في المناهج النقدية، يهدف إلى خلق تآلف مشترك بين الدراسة الأدبية، ومنجزات العلوم الإنسانية والتجريبية، وذلك لتمكين النقد الأدبي من الابتعاد عن التناول العشوائي، والارتجال والانطباعية في الأحكام والمعيارية والسطحية في تحليل الخطابات.

وجاء القرن العشرون الذي وصل النقد فيه درجة جديدة من الوعي، ومكانة أعظم في المجتمع، فظهرت مناهج وأحكام جديدة. والملاحظ على هذه المناهج، أنّها تجاوزت حدود البلاد التي ظهرت فيها لتنشر في أرجاء العالم، ويتبنّاها النقاد ويدافعون عنها، بل يجتهدون في الإضافة إليها.

إنّها اللّسانيات التي قبعت وراء تلك الأحداث تحرّكها، إذ صارت معينا خصبا ينهل منه النقاد ما شاؤوا، وما رأوه يخدم النصوص الأدبية؛ والاستفادة من الدراسات اللّسانية الحديثة وما تفرّع عنها من مناهج واتجاهات كالبنيوية و الأسلوبية و السيميائية، كان الهدف منها هو الخروج بتحليل الخطاب إلى الدراسة الوصفية المتأنية والتحليل الموضوعي المقنع الذي يقوم على مقولات أهمها:

- الاهتمام بالأدب والمكوّنات الأصلية له في اللّغة والكلام والعلامة والعلائق التي تنتج من كل مكوّن على حدة، وبين الأطراف المختلفة التي تنتج النص ثم النص داخل النص.

- توقف عند الدّوال الشكلية الأساس التي تلعب دور المنتج للنص بين الاختبارات اللّسانية، والمحدّدات السيميائية، بما يؤدي إلى وضع الكتابة في إطار الأدبية، ويساعد على استخلاص هذه القيمة بالدرجة الأولى.

- النظرة إلى النص لا كانعكاس لعوامل خارجية، و لكن كمجال يمتلك دواله القادرة على ربط العلاقة مع المدلولات، ثم مقدرة هذه الأخيرة على توظيف و صياغة الدوال.

إنّ الأدب هنا يتحوّل إلى حقل مستقل له عناصر واقعه الذاتية باللّغة و العلامة والوحدات الصغرى والكبرى، وبواسطة تفكيك واع ومحدّد للبنية والبنيات أو لإنتاج هذه البنيات لرصد الأدبية، وبالتالي ترقيم وتعيين سنن ونظام كل نص.

والنقد بعد هذا، يتوارى كدرس ذي طبيعة تلقينية في الأدب ومعتمد لأحكام القيمة، إنّه لا مجال بعد لأي تشريع إلاّ التشريع الذي يقدر عليه النص وحده، بما يمتلك بوصفه صناعة كلام، ولكن أيضا بوصفه إنتاجا لخطاب. وهكذا، تصبح القراءة نوعا من المغامرة التي تستكشف تخوم المستحيل.

الإحالات

1 – وُلد "فرديناند دوسوسير" في خريف عام 1857 بجنيف، تابع دراسته الأولية بمسقط رأسه في الرياضيات، اشتهر أفراد عائلته في العلوم الدقيقة والطبيعة، ولكنه كان يميل في الوقت ذاته إلى الدراسات اللغوية، تعرف على "أ.باكتيه A Pietet" (معلمه الأول) الذي ألّف في فترة مبكرة جداً بحثا يدور موضوعه حول أصول اللغات الهندو أوروبية سنة 1859، فشجعه، وساعده على الممارسة العلمية في مجال الدراسات اللغوية التي كان مولعا بها إيلاعا شديدا، الأمر الذي جعله يهتم بدراسة اللغتين اليونانية والسنسكريتية، فضلا عن إتقانه اللّغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية واللاتينية. توجه عام 1876 إلى ألمانيا التي كانت تشهد أنذاك، حركة لغوية رائدة، فالتحق بحلقة اللغويين الألمان حيث أسهم بأفكاره في مجال الدراسات المقارنة وفي شهر ديسمبر من عام 1878، قدّم مذكرة تخرجه (نظام الصوانت البدائي في اللغات الهندوأوربية Le systeme primitif des voyelles dans les langues Indo-Européennes) و لقد حقّق له هذا البحث، وهو لا يتجاوز الواحد و العشرين (21) سنة – شهرة عالمية رافقته حتى وفاته، بل حاضرة في الثقافة اللّسانية حتى بعد وفاته. وفي 1880، تقدم بأطروحته التي كان موضوعها (استعمال المضاف المطلق في اللّغة السنسكريتية، L'emplois du génitif absolu en sanscrit). وعدا هذين البحثين، فإنّ كلّ ما نشر له تمّ بعد وفاته، باستثناء مجموعة مذكرات، ومقالات، وملاحظات، نشرت في فترات متباعدة، و جمعت بعد وفاته في كتاب يحمل عنوان (Receuil des publications scientifique de Ferdinand de saussure 1922).

كلّف سنة 1881 بإلقاء محاضرات في محاضرات في المدرسة العليا للدراسات التطبيقية في باريس وظلّ ينشط فيها مدّة عشر سنوات، نشر خلالها عدّة مقالات في مجلة (Mémoire de la société linguistique) ثمّ أصبح بعد ذلك نائب مدير عام المجلة نفسها.

عاد إلى جنيف سنة 1891، و شغل كرسي التاريخ المقارن للغات الهندو-أوروبية إلى غاية 1896، ثمّ اختفى فجأة من الساحة، ولكنه عاد إليها عام 1908 حين أسند إليه تدريس علم اللّغة العام خلفا لأحد الأساتذة إلى غاية 1911، فأُتيحت له الفرصة كي يفصح القول في الدراسة النظرية لعلم اللّغة الوصفي، إلى أن توفي سنة 1913.

ويُرجع بعض الذين أرّخوا لديسوسير دخوله في العزلة و إنقطاعه عن الإنتاج في الفترة ما بين (1896-1906)، إلى المشاكل العويصة التي أثّرت في حياته النفسية و الإجتماعية، الأمر الذي انعكس على قدراته الفكرية. و لقد اعترف دي سوسير بذلك صراحة في الرسالة التي بعثها إلى صديقه "ميه" سنة 1894، إذ يقول: ((...لقد سئمت من كلّ هذا، و من الصعوبة التي ألاقيها غالبا في تحرير عشرة أسطر فقط، ثمّ موضوع الأوصاف التي تشترك فيها الأحداث اللغوية، وأنا مهتم منذ زمان طويل بتصنيف هذه الأحداث تصنيفا معقولا، فصرت ألمح أكثر فأكثر ضخامة العمل الذي يجب على الباحث أن يضطلع به حتى يشعر اللغوي بحقيقة ما يجريه من تحليل(...)، وسأختم عملي هذا بكتاب أحرّره وأنا مكره على ذلك، أفسّر فيه بدون حماس لماذا لا يوجد لفظ واحد يُستعمل الآن في علم اللّسان التاريخي يمكنني أن أبيّن فيه معنى من المعاني))[1]

ولأنّ الموت كان أقوى، لم يستطع "دي سوسير" إنجاز كتابه الذي ذكره في رسالته السابقة الذكر، والذي أراد له أن يكون خاتمة لجهوده اللغوية. لكنّ هذا المشروع لم يمت بموت صاحبه، بل لقد حمل كلّ من "شارل بالي Charles Bally" و"ألبرت سيشهاي Albert-Sechehay" على عاتقهما مسؤولية حمل الأمالي التي كانت مدوّنة عند تلامذته في الفترة ما بين (1909-1911)، وإيرادها في كتاب ظهر إلى الإنسانية سنة 1916 تحت عنوان "دروس في اللّسانيات العامة" (Cours de linguistique générale).

2 - النيفر نور الدين: فلسفة اللّغة و اللّسانيات- مؤسسة أبو وجدان للطبع و النشر و التوزيع – ط1 – 1993 - ص:76.

3 - ينظر أحمد حساني: مباحث في اللسانيات – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص:39.

4 - المرجع السابق – ص:39.

5 – كاترين فوك و بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة – تر: المنصف عاشور – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر - 1984 – ص:21.

6 – ليست الصورة السمعية هي الأصوات المادية لخصائصها الفيزيائية، وإنما هي البصمة النفسية للصوت.

7 - النيفر نور الدين: فلسفة اللّغة و اللّسانيات – مؤسسة أبو وجدان – الدار البيضاء – المغرب -ط1 - ص:79.

8 – أحمد حساني: مباحث اللّسانيات – ص:42.

9 - النيفر نور الدين : فلسفة اللّغة و اللّسانيات – ص:80.

10 - كاترين فوك وبيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص:23.

11 - النيفر نور الدين : فلسفة اللّغة واللّسانيات - ص84.85.

12 - نفسه – ص:85-86.

13 - جورج مونان وآخرون: البنيوية والنقد الأدبي – تر: محمد لقاح - افريقيا الشرق - الدار البيضاء - 1991 –ص:07.

14 - مهيبل عمر: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر - ط2 - 1993 – ص:16.

15 - المرجع السابق: ص:16.

16 - المرجع السابق – ص:16.

17 - كلود ليفي شترو : الأنثربولوجيا البنيوية- تر: مصطفى صالح - وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق1977 – 1 /328.

18 - جان بياجي: البنيوية: تر: عارف منيمنة وبشير أوبري - منشورات عويدات - بيروت - باريس - ط2 1980.

19 - شكري عزيز ماضي: محاضرات في نظرية الأدب - دار البعث للطباعة و النشر – الجزائر - ط:1 1984 – ص:139.

20 - المرجع السابق: ص:138.

21 - المسدي عبد السلام: الإزدواج و المماثلة في المصطلح النقدي – المجلة العربية للثقافة – تونس – ع 24 /1993 - ص:32.

22 - الوعر مازن: دراسات لسانية تطبيقية – دار طلاس للدراسات والترجمة و النشر – سوريا – ط1 - ص:154.

23 - المرجع السابق – ص:158.

24 - المسدي عبد السلام: الإزدواج والمماثلة في المصطلح النقدي - ص:40.

الخطاب والـــتأويـــل
قراءة مصطلحاتية معرفية

د/ منقور عبد الجليل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس

الخطاب هو إعادة تشكيل أنساق اللغة وإخراجها من موضع الثبات المعجمـــي إلى موضع الحركية الإبداعية ومعنى ذلك فتح اللغة على التجديد في أنساقها تبعا لتجدد سياقاتها العامة التي توصـــف باللاتناهي واللاتجانس ورفض للنمطية في التعـــبير، ،وأهم عامل يشحذ هذا التجديد ويلوّنه تلوينا خاصا،هو تلك القيم المتنوّعة الـــتي تفد من خلال تأثّر كلّ من الباث والمتلقي بالظروف الـــتي تـــتحكّم في عمليـــة التخاطب، يقـــول (MAIGNEAU .D) في هذا التجديد الطارئ علـــى بنيـــة اللغة، و معرفا ،في ذات الوقت ،الخطاب : مفهوم الخطاب يدخل ضـــمن تـــواتر تقابلي:لغة /خطاب. اللغة تقدَّم على أنّها مجموعة كاملة، نسبيا قـــــارة العناصر ،بينما يفهم الخطاب على أنّه الموضع الذي تمارس فيه الإبداعية ،موضع الســـياقية الطارئة التي تمنح قيما جديدة لوحدات اللغةً .(1) ومن الـــذين ربطـــوا الخطـــاب بالحيثيات السوسيوـــ ثقافية الكاتب الفرنسي (ميشال فوكو) حيث ربطه بالممارسة الوظيفية للغة ضمن شروط تلفظية معينة يعرّف فوكو الخطـــاب بأنّـــه مجمـــوع المسطّرات والقواعد التاريخية اللامسماة المحددة في الزمن ،والتي عرفـــت في فتـــرة تاريخية معطاة ،داخل جوّ اجتماعي واقتصادي وجغرافي لغوي معـــين وحـــدّدت شروط ممارسة الوظيفة البيانية أو التلفظية .(2)

إن الخطابـــ منطوقا كان أو مكتوبا ـــ يحتكم إلى معيارية تعود بالأساس إلى تلك المستويات التي يتألف منها النص أو الخطاب وهي منافذ للتحليـــل اللغـــوي

لاجتماعي ،لكون أن الباحثين الذّين وضعوا أسس تحليل الخطاب هم باحثون
مون إلى حقل الدراسة الأنثروبولوجية ،وعلم النفس والاجتماع وقد أسهموا
كل واضح في بيان المستويات الثلاثة للتحليل : المستوى الصوتي، والمستوى
حوي،والمستوى الدلالي، وبواسطة هذه المستويات تتضح طبيعة الخطاب ونوعه
هدافه ،ذلك أن الأحداث الكلامية تعتبر أشكالا بنيوية في غاية التعقيد،توظف
ة توظيفا يخدم ظروف التخاطب وقد يقفز هذا التوظيف على كل معيارية
لقية وفي هذا المجال غيّر محللو الخطاب، أمثال (فوكو) و(لابوف) و(هاريس)
ثيرا من الطرائق الإجرائية فقد تعامل هؤلاء مع المقاطع فوق الجملية لكونهم
رون أن مصطلح الخطاب يستعمل في طرائق مختلفة ليدل على أي شيئ يقع
ج الجملة سواء أكان ذلك كتابة أم محادثة ،لقد استثمر (ز ـ هاريس)
ج النظرية التوزيعية في المعنى وقدّم أمثلة لتحليل الخطاب باعتماد نظام البنية أي
بيق المنهج النحوي ،إلا أنّ منهجه في تحليل الخطاب اعترضته عدّة صعوبات
ف أمام بعض المقاطع الخطابية عاجزا على التحليل ذلك أنّ الضوابط التي
كم في بنية الخطاب ليست ضوابط نحوية دائما وإنما قد تكون ضوابط أسلوبية
كن تحليلها إلا من خلال المكون الدلالي. (3) ويؤكد صعوبة تحليل الخطاب
، الخرق المتواصل للنمط التحاوري فقد اكتشف (لابوف) ومعه (فوكو) أن
لة الخطاب التي تعتمد أساسا على احترام المتخاطبين لسنن التحاور وتقنيات
لام المعروفة والتي بدورها تيسر عملية التحليل ،سرعان ما تتعرّض لتجاوز من
أحد المتخاطبين يفقدها ذلك التجانس المنطقي ،وهذا بدوره يقود إلى التأكيد
أنّ تأويل الخطاب ليس بالأمر الهيّن ولا المتيسّر في كثير من الحالات ذلك
وبة تحديد طبيعة العلاقة القائمة بين المؤلّف والنص ،أو بين مقصدية المؤلف
لة النص وأضحت التأويلية (HEURMENEUTIC)حديثا تتناول معضلة
بر النص والبحث عن الإجابات العلمية الموضوعية للعلاقة المتداخلة بين النص

ـخاصة الديني - والمفسّر / الناقد من جهة ،وبين النص والتراث والتاريخ من جهة ثانية، و بدأت التأويلية تأخذ مكانها في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الغربية منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي على أيدي باحثين في دوائر الدراسات اللاهوتية ،و سعى هؤلاء الباحثون إلى وضع مجموعة من القواعد والمعايير لتفسير وفهم النص المقدس ، ولم يخل سعيهم هذا من إيعاز من رجال الدين الغرب الذين شعروا بعجز النص المقدس على تقديم الدلالات التي يطلبها منه المحيط المعاصر،وقد اتسع مجال التأويلية حديثا ليشمل مختلف النصوص الاجتماعية والأدبية والتاريخية وغدت التأويلية الحديثة تفتح النص على القراءات المتعددة الباحثة عن قصدية جديدة تلائم الوعي الجديد يقول أمبرتوإيكو وهو يعاين هذه القصدية المتجددة :"يشكل النص مجرد مثير للخيال بينما يشكل التأويل إعادة بناء قصدية النص وفق قواعد خاصة للتأويل ." (4) وفي تراثنا الديني إشارات مهمة لتأويل النص الديني ، بل إنّ النص نفسه ،في كثير من آياته البينات ،حمل ألفاظا صريحة تشير لمسألة التأويل ومتعلقاته ،ولم يشر إلى أمر التفسير إلا في موضع واحد فقط، وقد حمل المحيط المتجدد العلماء على تطوير أدوات استنباط الدلالات من النص الديني،و عُرف اتجاههم هذا بالتفسير بالرأي ،مقابل الاتجاه القديم المعروف بالتفسير بالمأثور، ودون أن نناقش مدى تأثّر الاتجاه الجديد بالتأويلية الغربية الوافدة من الفلسفة اليونانية ، فإنّ التأويليين في التراث العربي واجهوا معضلات منهجية معقدة تتعلّق أساسا بكيفية الوصول إلى المعنى الموضوعي للنص الديني ،وبالتالي إلى القصد الإلهي في كماله وإطلاقه ، ومن غير رجال التصوّف ـ على الأغلب ـ لم يدّع التأويليون الوصول ـ حقيقة ـ إلى القصد الإلهي المطلق، إلا أنهم كانوا أكثر استخداما للحرية العقلية في مناقشة النص الديني ، وعلى نقيض التأويليين الغرب لم يترك العلماء العرب نظرية في التأويل واهتموا فقط بالجانب التطبيقي في تفسير النص الديني . ويعدّ علماء أصول الفقه في التراث

ربي أوضح نموذج في تفسير النص الديني باعتماد أدوات نسقية تعود إلى
ستعمالات التركيبية والأسلوبية والمعجمية لنظام اللغة ،و أدوات سياقية تتعلّق
م عميق وواع بالظروف المحيطة بدلالات النص والمسمى بفقه الواقع أو فقه
حلة ،ويدخل في هذا المجال المنهجي أصول المعرفة وهي تشمل أنماط التفكير
حليل لدى المفسّر أو المؤوّل ،أو كما سماها محمد عابد الجابري بنية العقل
د تشكّل العقل العربي تباعا وفق ما أملى عليه الواقع أو المرحلة أن يأخذه من
س ،فكانت المرحلة البيانية(التفسيرية) ثمّ المرحلة العرفانية (التأويلية)ـــ ثم
حلة البرهانية (المنطقية) (5) ،تبعا لطبيعة التشكل العقلي ،ولغلبة بنية معينة في
حلة من تلك المراحل .

إنّ استنباط الأحكام من النص يخضع بالأساس إلى ثقافة المستنبط ودرايته
وال التنزيل ،ووعيه بجدلية النص والواقع ،وما يستتبع ذلك من آليات
قاط الحكيمة والدقيقة ،يعني أنّ ثمة نظاما لتخريج الدلالات من مضانها يسعى
لم الأصولي إلى أن يوازيَ به نظام الخطاب القرآني في تصريف الأحكام ومراعاة
ضى الأحوال.

ـ محمد مفتاح : "إنّ أسلوب القرآن تكيّف بحسب نوعية مخاطبيه، وبحسب
ية المتحدث عنها والسياق الذي دار فيه الخطاب " (6)

ّ مبدأ "القصدية " في الخطاب هو أهم عنصر غير لغوي يعمل على إخراج
ـ الكلامي إلى حيّز الأداء اللغوي ،ويدفع إلى تأدية وظيفة الخطابات على أنها
ابات تمتلك تأثيرات منتظمة بكونها صحيحة ،وبذلك يرتسم لكل خطاب
نه الدلالي الخاص ،وإن كانت البنية المعجمية والأسس التركيبية والخصائص
ولية هي محل اشتراك بين كل نسق خطابي وآخر(الخطاب الشعري،والخطاب
ـ في، والخطاب الفلسفي، والخطاب الأصولي...).ثمّ إنّ تعدد المقول اللفظي
ي حتما إلى تعدد فضاءات الخطاب في البنية والأبعاد الدلالية ،و يتمظهر

الخطاب في وجود بؤر دلالية يعمل على تصويغها وتسويرها، وتتعاضد مجمل الآليات النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية في إحداث التواتر على نسق الفعل ورد الفعل ،وعلى نسق الفهم والتأويل .ولمّا كان الخطاب هو تجميع لأنساق مختلفة ترمي إلى قول الواقع الموضوعي، فهو يملك سلطة في تشكيل الجانب القيمي للمعرفة0 وتتشعب ابستيمية الخطاب لترسم واجهة فسيفسائية فيها من تلوينات الدلالة ما يجعلها تحدد لكل خطاب حجمه الموضوعي من واقع اللغة المفترض و واقعها العملي الأدائي ،وهو ما يعضد فكرة النظام الابستيمي الشامل الذي يتألف من مجموعة أنظمة تشكلت ضمن سيرورة الإنتاج الفكري المؤسَّس و المتحكِّم في إحداث التراكم المطلوب في المعرفة ،فإذا كان هناك تأويل في النص أو الخطاب يقول الشاطبي : "يجب أن يُبنى على ما تعرفه العرب في حقائقها المستعملة وفي مجازها ". (7)ولا يمكن مع ذلك اعتبار الخطاب بنية لغوية تخضع لقواعد معيارية في التشكيل فحسب، إنما هو تشكل متعدد البنى يخضع في اتساقه إلى حصيلة تفاعل اللغة مع سياق الابلاغ والتواصل يقول (MAIGNEAU) :"خطاب ما لا يعني حقيقة بدهية،أو شيئا ملموسا ، لكن حصيلة لبناء ."(8) وهذا البناء ليس أمرا لغويا بحتا بل فيه عناصر أساسية تتجاوز النظام اللغوي ،وتتعلق ببنية التفكير الاجتماعي وآليات التأويل الدلالي للوجود وعالم المعنى، ولذلك احتيج في تحليل الخطاب لأدوات لسانية، وسيميائية و لمناهج اجتماعية ونفسية يشرح عمار بلحسن هذه الفكرة فيقول :"يبدو مفهوم الخطاب ذا وضعية متغيرة ومتنوعة الدلالات ،وملتقى تفكير بين اللسانيات ومختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية ،التي قاربت الخطاب متجاوزة لسانيات الجملة ،وعلم القاموس ،نحو الآليات السيميائية والدلالية في سياق التلفظ أو علاقات الكلام والتخاطب الاجتماعية والحوارية ." (9)

، انساق لغوية معينة خطابا بيّنما إذا استثنينا تلك الحيثيات كانت تلك الأنســـاق
نوية دالة على معان اصطلاحية فقط . يرسم (MAIGNEAU) هذا التلازم بين
ساق اللغة وشروط إنتاج الخطاب (12)على النحو الآتي:

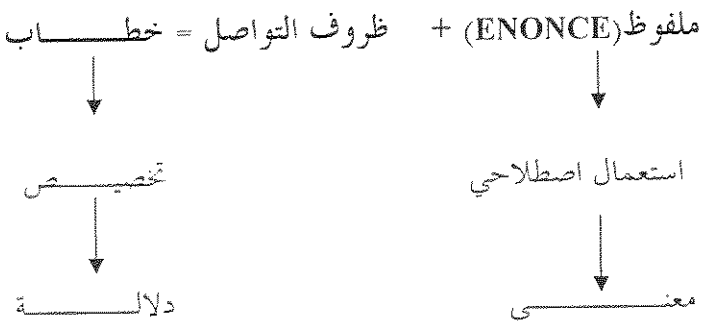

ملفوظ(ENONCE) + ظروف التواصل = خطـــــاب

↓ ↓

استعمال اصطلاحي تخصيـــص

↓ ↓

معنـــــى دلالــــة

ى ملفوظ ما يتحدد خارج كل إطار كلامي بينما دلالته ترجع إلى تخصـــيص
الملفوظ بما يتلاءم وظروف التخاطب . ولذلك لا يمكن معرفة الدلالة المقصودة
بإعادة النظر في شروط إنتاج الخطاب والإطلاع على العلة الخفية التي جعلـــت
الدال يرتبط بهذا المدلول يقول عمار بلحسن : "... وفي تحليل الخطاب يتعالق
ابط مدلول منطوق ما بشـــكله ودالـــه عـــبر شـــروط إنتاجـــه ،كمـــا أن
لالية،وماديانية اللغة في تشكيل الخطابات ، يحتم مقاربة لسانية محضة لعلاقات
-الأيديولوجيا والمجتمع"(13) والمقاربة اللسانية التي تنحو إلى تحليـــل
ب للخطاب تنطلق من اعتبار النص هو تجميع للبنيات الثقافية وأنماط الـــتفكير
نماعي المتشعب ، وأنّ المجتمع يعتمد بشكل أساسي على اللغة في تشكيل وعيه
لم والوجود ، وعلى اللغة المحايثة في قراءاته للنصوص التي لها وجود متميّز ودائم
تأخذ صفة القداسة بدءا بالنص القرآنيّ الذي رغم سموّ أحكامه ،ومطلـــــق

إنّ الخطاب يخضع للتشكل النمطي فيتحدد مستواه بناء على وعي "الباث" بخصوصية مستويات المتلقين، فكلما نزع الخطاب إلى التخصص كلما كان ارتكازه على نسق التناص وتقاطُع المراجع ،مع كثرة الإشارات والتلميحات الموجِزة للخطاب ،بينما إذا انتفى التخصص كان ارتكاز الخطاب على نسق اللغة،ومع ذلك يبقى الخطاب في الحالتين كلتيهما يحتفظ بأدنى مقوّمات التواصل والإبلاغ ،وهذه المقومات منها الأساسية ومنها العرضية ـ بحسب القراءة السيميائية ـ .فبالمقومات العرضية يصل الخطاب إلى حدّه الأقصى ويناسب في هذه الحالة مقام المتلقي الذي انتفى عنده التخصص وينزع الخطاب في هذا المقام إلى نسق اللغة،بينما تجعل المقومات الأساسية الخطاب يرتكز على مرجعية المتلقي ويكتفي في هذه الحالة باللغة المؤسَّسة على الترميز والإشارة. يقول محمد مفتاح في تكييف النص القرآني للغة الخطاب مراعاة لمستوى المتلقين :"فقد كان الخطاب[القرآني] يتم بإبانة ووضوح أو بإيجاز وتلميح إذا كان الفهم مضمونا ،وقد يقتصر فيه على التفصيل إذا كان الخطاب لا يُدرك إلا به ".(10) ولأهمية المتلقي ولدوره الفاعل في تحديد المرجع الدلالي ،أضحت أبحاث علماء الدلالة تتناول بشكل استقرائي صدى الخطاب ووجه مقصديته ، ومدى نجاعة وضع منهج معياري لقياس تحقق المقصدية ، سواء باستجابات المتلقين المتباينة والمتشاكلة أو بقياس درجة التواتر بين الخطاب ورد فعل المتلقين، وذلك من أجل وضع آليات تخصيص الخطاب أو إطلاقه، فالخطاب في حالة توظيف ألفاظ تقنية " وجب عليه أن يتأسس على اللغة المتداولة حتى يصل إلى توفير معجم تقني . . .وبالعكس ،حين يتوجه الخطاب إلى متخصصين فإنه يؤسس خطابه بشكل قليل على اللغة ولكن بشكل أكثر على التناص ".(11) هذه الدينامية التي يتفاعل بها الخطاب مع حيثيات التخاطب،يتم فيها إبداع أنظمة لغوية جديدة ذات معجم لا يرتبط فيه الدال بمدلوله ـ في الغالب ـ إلا أثناء لحظات التخاطب ،ذلك أن حيثيات إنتاج الكلام هي التي تجعل

يقته ،إلا أنّ ذلك لا يمنع عنه واقعية تعابيره ودلالاته ، وانتمائه ـ رغم سموّ مدره ـ إلى نظام ثقافيّ واجتماعيّ يملك هو سر مجاراته ومحاورته ومجاوزته ساء آليات التأويل ومفاتيح التوصّل إلى مقصدية الخطاب ،وهذا ما يسوّغ راء مقاربات للخطاب القرآني والبحث في النص عن تلك المفاتيح اللغوية التي عن وعي لسانيّ حديث بسرّ المحاورة القرآنية للواقع يقول نصر حامد أبو زيد علاقة النص القرآني باللغة والثقافة : " إنّ اللغة أهم أدوات الجماعة في إدراك لم وتنظيمه ،وعلى ذلك لا يمكن أن نتحدث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع ،ولا ن من ثمة أن نتحدث عن نص مفارق للثقافة والواقع أيضا طالما أنه نص داخل ر النظام اللغوي للثقافة ،إن ألوهية مصدر النص لا تنفي واقعية محتواه و لا تنفي ثمة انتمائه إلى لغة البشر". (14)

تبادل الأدوار في التشكيل و التشكّل بين النص والبيئة، يمثّل الصورة الحقيقية ل الخطاب والواقع الثقافي،فكما كان شأن التنزّل الأول للقرآن الكريم في كّله وفق أنماط التخاطب والفهم والإحالة في المجتمع الأوّل،تشكّلت وفقه ـ من ـ البيئة التي طرحت آليات جديدة للفهم تتماشى وسنن التخاطب ري المستحدث ضمن الحركية الاجتماعية العامّة،وكان التأسيس للنظر ستنباط عند علماء الأصول ـفي كل فترة ـ لا يُبقي من ثوابته إلا الأطر العامة حددتها النصوص المتعاضدة مثل نصوص الحديث النبوي التي عددت أطرا : في استخراج الأحكام من النص القرآني هي أشبه بالقواعد المعيارية التي ب على المؤوّل مراعاتها حين يهم باستنطاق بنية الخطاب القرآني الواقع في ة المتشابه، كما استوحى الأصوليون أنفسهم قواعد هامة لإعطاء النص منطوقا أمام تزايد الوقائع وهي الإشكالية التي عبّروا عنها حين قالوا بندرة النصوص كاثر الوقائع وتجددها،فاهتدوا إلى حل هذه الإشكالية بقاعدة "خصوص ب وعموم اللفظ"،فجعلوا من عموم اللفظ قاعدة للفهم ومن خصوص السبب

قاعدة للقياس .(15) وما ذلك إلا تعبير عن استجابة لمقتضيات القـرّاءة المختلفـة للنص ،بل إنّ النص ذاته يقدّم لغة مفتوحة على الرؤى المتباينـة تبـاين الأحـوال والأمكنة ،ومن ثمة تغدو القراءة التأويلية للنص جزءا من دلالة النص نفسه،وإنّ من سحر لغة النص القرآنـي، تنوّع آلياتها القرائية،إذ يعمل هذا التنوع بمعية التأويل على إعطاء النص امتداده الطبيعي ليجيب على إشكالات العصر وقضاياه .يقـول نصر حامد أبو زيد حول هذه الفكرة :"إن اختلاف الناس حول الـنص يرتـد في جانب منه إلى "اختلاف" النص ذاته...إنه اختلاف قد يرتد في جزء منه إلى طبيعة اللغة ،فهو اختلاف طبيعي مردود إلى الطبيعة اللغـوية للنص ،أو لنقـل للغـة معاصرة :اختلاف مردود إلى آلية النص في تحديد طبيعته الخاصة، وهـذه الآليـة الخاصة...هي التي تجعل فعل القراءة_والتأويل من ثمّ_جزءا من آليـات النص." (16)ويقف تحليل الخطاب على فحوى الدلالة بإعمال النظر في تلـك الآليـات، والبحث في صلب النص ومتنه على ما يعضد رجحان التأويل الذي يتماشى مـع روح العصر وسنن الكون والوجود في تصريف الدلالة،إذ لا يعقـل أن ينحـرف التأويل إلى التماس تخريج لا يوافق سنن الطبيعة الإنسانية العامة،وهـذا الاحتيـاط المنهـجي _الواقع خارج النص_ يرتد بالتأويل إلى منطقية أحكامه.يبقـى أن الخطاب القرآني -على الخصوص- ما يزال يحتفظ بآليـات أخـرى، لم يحـن _ للعلماء _ بعد أوان تأويلها على الوجه الذي تقتضيه طبيعة الخطاب في جدلـه الموضوعي والدائم مع الواقع.ذلك لأن البيئة هـي الأخـرى تفـرض شـروطها البنيوية،والمعرفية،وهي كذلك تجدّد آلياتها القرائية مع تغيّر الظرف والمقام .

هوامش البحث

Maigneau Dominique, Initiation aux méthõdes de l'analyse de discours P.

ميشال فوكو : نظام الخطاب- ص42 ترجمة محمد سبيلا - ط2 المغرب 198.

مازن الوعر :نظرية تحليل الخطاب- ص 25 مجلة الموقف الأدبي - العدد370 - نة 2002 دمشق -سوريا

أمبرتو إيكو : التأويلية بين السيميائية والتفكيكية -ص192-ترجمة وتقديم:سعيد راد -المركز الثقافي العربي-ط 1-2000 الدار البيضاء - المغرب .

محمد العابد الجابري: نقد العقل العربي ص105ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار ضاء ـالمغرب_1988.

محمد مفتاح :دينامية النص(تنظير وإنجاز) ص196 ـ ط 2 ـ 1990ـالمركز ي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب

الشاطبي (أبوإسحاق): الموافقات في أصول الشريعة ج3 ص55 ـ دار المعرفة وت ـ لبنان

Maigneau (المرجع السابق)

عمار بلحسن : الخطاب . مادة القاموس العربي لعلم لاجتماع . ص3 عمل ن بمركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية_ رقم90/4 ـ وهران لجزائر

محمد مفتاح : م.س ص195..

Maigneau (المرجع السابق)

Maigneau (المرجع السابق)

عمار بلحسن (المرجع السابق) . ص:2.

نصر حامد أبو زيد :مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن ـ ص 24 ط 4 ـ 1998 ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب

ـمّاه، ليمتاز من غيره،و ليُغني عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقـــرب
ـحفّ وأسهل من تكلّف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله". (3)

وهو أمر ذكره التاج السبكي(ت777هـــ)في شرح منهاج البيضـــاوي،
ل:" الوضْعُ عبارةٌ عن تخصيص الشيء بالشيء ؛ بحيث إذا أُطلقَ الأوَّلُ فُهم منه
ـي.قال: وهذا تعريفٌ سديدٌ، فإنّك إذا أطلقت قولك" قائمٌ زيدٌ" فُهم منه صُدُور
ـامُ منه". (4)

وهو ما عبر عنه ابن خلدون (ت 808هـــ) بقوله: "ثم لما كانت العرب
ـع الشيء لمعنى على العموم , ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة
, فرق ذلك عندنا ,بين الوضع و الاستعمال,و احتجاج الناس النّاس إلى فقه في
ـة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض, ثم اختص ما
من خيل بالأشهب، و في الإنسان بالأزهر , و من الغنم بالأملح, حتى صـــار
ـعمال الأبيض في هذه كلّها لحنا و خروجا عن لسان العرب"(5)، الأمر الـــذي
ـل على أنه في العربية اصطلاحات كثيرة بعضها عام و بعضها خاص , و كلّهـــا
ـل ضمن إطار تطور المعنى من الإطلاق(*) إلى التقييد(*)و مـــن التعمـــيم(*) إلى
ـصيص(*)

و كلا المصدرين (اصطلاح) و (مصطلح) لم يرد في القرآن الكريم أو في
ـيث الشريف أو في المعاجم العربية القديمة العامة ومع تكوّن العلوم في الحضارة
ـبية الإسلامية تخصصت دلالة كلمة (اصطلاح) لتعني الكلمات المتفـــق علـــى
ـخدامها بين أصحاب التخصّص الواحد للتعبير عن المفـــاهيم العلميـــة لـــذلك
ـصّص , و بهذا المعنى أيضا استخدمت كلمة " مصـــطلح" و أصـــبح الفعـــل
ـطلح) يحمل أيضا هذه الدلالة الجديدة المحدودة.(6)

ويطلق على المصطلح في اللغات الأوروبية المختلفة كلمات تكاد تكـــون
ـة من حيث النطق والإملاء، وهي الكلمات:"term "في الإنجليزية والألمانية و

المصطلح العربي بين دقّة الوضع وانحسار التداول

د.عبد القادر سلاّمي

قسم اللغة العربية

جامعة تلمسان

*ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى كشف الخطر المحدق بلغتنا العربية من جهة التداول على الرغم من دقّة الاصطلاح والمصطلح عند الأوائل،وذلك باستنطاق نماذج من تخصيص الدلالة في كتب اللغة ومعاجمها، بما يمثّل خطوة رائدة من عمل الأسلاف.

I -الاصطلاح والمصطلح:

اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، واصطلحوا على الأمر: تعارفوا عليه، وتصالحوا: اصطلحوا.[1]

أمّا الاصطلاح ، فيعني: اتّفاق القوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن وضعه الأوّل أو معناه اللغوي المستعمل عادة إلى معنى آخر خاص يصطلح عليه , لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها[2] , و على هذا فالمصطلح[*] هو اللفظ الذي يتفق العلماء على اختياره ليدل على شيء محدود في عرفهم , يتميز به من سواه , فينتقل من معناه اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي.

وقد التصق الاصطلاح بالمواضعة , و دلالتها إلى الاصطلاح أميل و هي تعني معناه , و هو مذهب ذكره ابن جنّي (ت 392هـ) , فقال:"إنّ أصل اللغة لابّد فيه من المواضعة... وذلك كأنّ يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا , فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء,فيضعوا لكل منها سمة ولفظا ، إذا ذكر عرف به ما

terme " في الفرنســّية و" termine" في الإيطاليــة و" termino " في
سبانية" و"termo " في البرتغالية، وغيرها. وهذه الكلمة المشــتركة في هــذه
ات تجاوزت الإطار اللغوي القومي بل ويعدّها بعض الباحثين مثالاً طيّباً للعالمية داخل الحضارة الأوروبية.(7)

و مصطلحات كل علم تالية له في الوجود بالضـرورة فبعـد أن يوجـد
يء،يحتاج إلى تسميته , فيختار له علماء الأمّة من ألفاظ اللغة اللّفـظ الـذي
سبه على أساس أن العلاقة بين المعنى اللغوي وهو الأصل و المعنى الاصطلاحي ,
و الدلالة الجديدة العارضة.

فـ"السّكون"،لغة يعني ضدّ الحركة(8)،أما في عرف الصوتيين،فإنّه يطلـق
، الصوت الذي لم يدخل التركيب.(9)

وكذلك " البناء" يقصد به في اللغة ضم الشيء بعضه إلى بعض،وهو نقيض
م، (10) أمّا عند علماء النحو , فالمقصود به "لزوم الكلمة حالة واحـدة مـن
كل لا تتغير بتغير العامل مطلقا، ونقيضه الإعراب".(11)

و"الاشتقاق"في عرف فقهاء العربية صوغ كلمة من أخرى بتغير بعـض
فيها مع التناسب في المعنى(12) في حين يدل في اللغة على أخذ شِقّ الشيء .(13)

فأنت تلحظ العلاقة الوطيدة بين المعنى اللغوي لكل لفظة من هذه الألفاظ
لالتها الاصطلاحية في العلم الذي وضعت فيه.ويأتي الاصطلاح والمواضعة عادة
قابل التوقيف.(*)

والمصطلح ركن أساسٌ في كل علم , إذ به تسهل الدراسة , و يتيسر تبادل
ء و الأفكار بين علماء الأمة و الواحدة , و بينهم و بين غيرهم مـن علمـاء
م الأخرى.و بالمصطلح يكون التدوين و التأليف ليتم التعاون العلمي بين علماء
،و لينتفع الخلف،بمجهود السلف،و على ذلك يقوم علم المصطلح ، الذي يعدّ

علم المصطلح من أحدث علم اللغة التطبيقي كونه, يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات و توحيدها.[14]

2- نماذج من تخصيص الدلالة:

يقوم تخصيص الدّلالة بتحويل مجالها من المعنى العام أو الكلّي إلى المعنى الجزئي،ويسمّى أيضاً بتقليص الدلالة .و يعني أيضاً قصرُ المعنى العامّ على بعض أفراده وتضييق شموله،[15] ذلك أنّ مدلول الكلمة يتغيّر تبعاً للحالة التي يكثر فيها استخدامها.فكثرة استخدام اللفظ العامّ في بعض ما يدلّ عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصُر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله فيكسب دلالته المركزية ظلالاً جديدةً تؤدّي إلى تخصيص معناها في أغلب الأحيان.[16]

ومن هذا النّحو عند ابن قتيبة(ت276هـ) (اللَّبَنُ).فدلالة اللَّبَن عامَّة بينما تختصُّ كلمات أخرى بدلالات أضيق وأدقّ.فـ(الصَّريف) للحارِّ منه حينَ يُحْلَبُ،فإذا سَكَنَتْ رَغْوَتُه فهو(الصَّريحُ) ، فإذا لم يُخالطْه الماءُ،حُلْواً كانَ أو حامضاً،فهو(المَحْضُ)،فإذا أخَذَ شيئاً من التغيُّر فهو(الخَامِطُ)، فإذا حَذَى اللِّسَانَ فهو(قَارِصٌ) ، فإذا خَثَرَ فهو(رَائِبٌ)،فإذا اشتدَّت حُمُوضَتُه فهو(حَارِرٌ).[16]وهو ما عبّر عنه السيوطي(ت 911هـ) بـ (ما وُضع عاماً واستعمل خاصّاً ثمّ أُفْرِد لبعض أفرَاده اسمٌ يخصّه).ومعنى ذلك أن يكون اللفظ في أصل وضعه دالاًّ على معنى عامٍّ كالبُغْضِ، ثمّ يكون لإحدى حالاته لفظ خاصٌ كالفِرْكِ وهو البُغض بين الزَّوجين خاصة.والحديث عام، فإذا كان بالليل كان سَمَراً.والسير عامٌّ،فإذا كان بالليل فهو السُّرَى. [17]

وورد في باب(شدّة الصوت وبُعْد ذَهَابه وما يعمّه)من المخصص أنّ الصَّوْتُ في عرف ابن جنّي(ت392هـ): مذكّر وهو الجَرْسُ. فأمّا قوله:

يا أيُّها الرَّاكِبُ المُزْجِيُّ مَطِيَّتَهُ سائِلْ بَني أَسَدٍ هذه الصَّوْتُ

فإنّه أنّثَ على معنى الصَّيْحَة . أمّا صَاتَ صَوْتاً وصوَّتَ به تصويتاًفي مفهوم
حب العين، فَنادَيْتُ ودَعَوْتُ وصِحْتُ.والصَّـــخَبُ عنـــده: شـــدَّةُ الصَـــوْت
حتلاطه.والنّداءُ في عرف ابن دريد: بُعْدُ الصَّوْتِ، أي مداه. أمّا إذا ارتفع صَوْتُ
جُل واشتدَّ قيل: أَصْلَقَ ،و إذا ارتفع صَوْتُه بإنشاد قيل: صَدَحَ .والنَّديُّ : البعيد
ى الصَّوت، وهو مذهب ابن السكيت.أمّا الوَاعيَةُ كما ذكر ابـــن الأعـــرابي،
صُّراخ على الميِّت ولا فعل له.والفَديدُو الفَدْفَدَةُ:صوتٌ كالحفيف، وهـــو قـــول
صمعي(ت216هــ).[18]

وقد ساق الثعالبي(ت429هــ) في فقه اللغة وسرّ العربية أمثلة لما وُضِـــع
ستعمل عامّاً ليمتدّ إليه التخصيص بعد ذلك ويبقى مع ذلك على عمومه. وهـــو
صود، على ما يبدو، ممّا سمّاه السيوطي بـــ(العامّ الباقيعلى عمومه).[19]ومن ذلك
، في باب(الكُلّيات) مثلاً :كلُّ ما عَلاَكَ فأظلّك فهـــو "سَـــماءٌ".و"كـــلُّ أرضٍ
تويةٌ فهي"صَعيدٌ"، وكلُّ بناءٍ مُربَّعٍ فهو"كعْبَةٌ"،وكلُّ بناءٍ عالٍ فهو"صَرْحٌ"؛[20]
صبحت السّماء تُقال في"سقْف البَيْت"لارتفاعه،[21]ودلالة الصّعيد جمعها صُعُدٌ
عُدَاتٌ خصّصت للتُّراب أوْ وَجْه الأرض والطّريق[22]والكعبَةُ أُلْصِقَت بالبيـــت
ام-زاده الله تشريفاً-والغُرْفَةُ.[23]كما أُطلِق الصَّرْح على"القَصْر".[24]

كما أنّ معاجم اللغة تكاد تتّفق على أنّ القَزَل أسْوَأُ العَرَج وأشدّه مع دقّة
قيْن لذهاب لحمهما . يقال: قَزِلَ يقْزَلُ قَزَلاً و وقَزَلَ يقزِلُ قَزْلاً ، وهو أقْزَلُ ،
يكون كذلك حتى يجمع بين الصّفتين السّابقتين وأن يمشي مشـــية المقطـــوع
ل والعُرْجَان والمُتَبَختْرِ .والأقزَلُ : حيَّةٌ أو ضربٌ من الحيَّات،ويقـــال ذلـــك
ب واستعاره بعضُهم للطّائر.[25]وعلى ذلك فكلّ دابّة أوهامّة أو طائر ســـاءَ
نه ودقّت ساقه أو ساقاه ومشى مِشْيَة المقطوع الرّجل أو تبَختَر في مَشْيه فهـــو
، وهو ما سكت عنه ابن سيده،وإن قصره على ضرب من الحيّات[26] لم يتبيّن
، وفضّل إيراده مطلق الدّلالة،فلعـــــــلّ

مردّ ذلك إلى أنّه لم يرَ العرَجَ أو ما ساء منه ممّا يمكن أن تحيط به كلمة "الأقْـزَل"، فقال في(صفات القدَم وأعْراضِها):" وقد عَرَجَ أسْوأَ العَرَجِ: إذا لم يَكُـنْ خِلْقَـةً وأصابهُ في رِجْله شيءٌ فمشى مِشْيَةَ الأعْرَجِ،وعَرِجَ:صارأعْرَج وتعارَجَ:حَكَى مِشْيَةَ الأعْرَجِ وفيه عُرْجَةٌ". (27)

والغريب في الأمر أنّ هذا المعنى قد تداخل مع كلام ساقه ابن سيده دلـيلاً على تساوق فكره عرّف به ما كان حقّه أن يتقدّم وهو لفظ "العُرْجَة" بقوله نقـلاً عن كتاب العين:"صاحب العين:العُرْجَةُ: مَوْضِعُ العَرَجِ من الرِّجْلِ.وجمعُ الأَعْـرَجِ عُرْجانٌ ". (28) فابن سيده يرى أنّ العَرَجَ حالةٌ عَرَضِيَّةٌ غيرُ خِلْقِيَـة، لا يمكنـها أن تجتمع مع صفة خِلْقية وهي دقّةُ السّاقَيْن،وقد وجد ما يدلّل عليها بدقّـة عنـد أبي عبيد القائل في(صفات السّاق):"الكَرَعُ: دِقّـةُ السَّـاقيْن،رجُلٌ أَكْـرَعُ وامـرأةٌ كَرْعاءُ،وهو دقيقُ مقدَّم السّاقين،وقد كَرِعَ كَرَعاً". (29)

*الخلاصة:

وبعد،فلسنا بحاجة إلى تأكيد حقيقة مفادها أنّ الحديث عـن المصـطلح يفصح عن جانب هامّ ومصيري من حياة اللغة العربية .هذه اللغة التي لا يمكن أن تكتب لها الحياة ويدوم بقاؤها،مهما بلغت من الغنى، إلاّ باستعمالها وتداولها على ألسنة أهلها والنّاطقين بها،ووصل حاضرها بماضيها.ويلاحظ الدّارس حين ينظـر في تراث العرب المصطلحي،أنّ العرب فاقوا غيرهـم في العنايـة بالمصـطلح،إذ تعدّدت طرقهم المنهجية في هذا المجال حتّى كادت تستنفذ جميـع الاحتمـالات تعميما وتخصيصاً و إطلاقاً ودلالة. لذا نرى أنّه آن لنا بعد هذا الذي سقناه دليلا على تساوق اللغة مع الفكر عند الأسلاف، أن نتساءل عن جهل أبنـاء اللغـة العربية الفصحى اليوم بلغتهم ما مفهومه؟ وما أسبابه؟وما مظاهره؟وما نتائجـه وآثاره؟

الهوامش

اهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط،520/1، مادة(صلح).

رجاني: التعريفات، ص44.

لصطلح) في اللغة العربية مصدر ميمي للفعل (اصطلح) من مادة (صلح) , وقد ، المعاجم العربية دلالة هذه المادة بأنّها ضد "الفساد " ودلت النصوص العربية على ات هذه المادة تعني أيضا : الاتفاق(ينظر:ابن فارس: معجم مقاييس 303/، مادة(صلح) . وبين المعنيين تقارب دلالي فإصلاح الفساد بين القوم لا باتفاقهم أما الفعل (اصطلح) فقد ورد في المعاجم العربية على أنه إزالة الخلاف و ا على الأمر : تعارقوا عليه.ينظر: الفيروزآبادي: االقاموس المحيط، 243/3، مادة( ).

جنّي: الخصائص،44/1.

يوطي:المزهر، 38/1.

خلدون: المقدمة ، ص549.

ن يذكر الشيء باسمه لاتقرَنُ به صفةٌ، ولا شَرْطٌ، ولا زمانٌ، ولا مكانٌ، ولا ٔ شيء يشبه ذلك.(ينظر:ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200 وينظر: : الكليات، 217/1، مادة (الإطلاق). أي ذلك اللفظ المجرّد المعنى والذي يصِحُّ وقوعه على مدلوله دون اجتماع تلك الشروط والصّفات، ع من دلالة الألفاظ. (ينظر: الرُّمَّاني: رسالتان في اللغة ، ص 70 وينظر: أحمد ور:المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص217.

حو من الدلالة مصطلحات أخرى ذكرها ابن فارس في (باب الخطاب المطلق (ينظر:ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200)، و أبو منصور الثعالبي في الأشياء تختلف أسماؤُها وأوصافها باختلاف أحوالها)(ينظر: فقه اللغة وسر

العربية، ص 40) والسيوطي ضمن (المطلق والمقيّد).(ينظر: المزهر، 449/1). ومن أمثلة المطلق قول امرئ القيس :

تَرائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَل

ديوانه،دارصادر، بيروت، دت، ص 42، وهو عجز بيت من معلّقة " قفا نبْك"، وصدره :

مُهَفْهَفَةٌ بيْضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ

فشبّه صدرها بالمرآة ، ولم يزد على هذا .ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ، ص 200-201.

(*)هو أن يُذكر الشيء موصولاً بقرينٍ من بعض ما ذكرناه من شروطٍ وصفات ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى .(ينظر:ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200 والرماني: رسالتان في اللغة ، منازل الحروف –الحدود، ص 70). فقد لاحظ اللغويون أنّ هناك نوعاً من الألفاظ لايصحّ وقوعه على مدلوله مالم تجتمع له شروط أو صفات ؛ فهذا المقيّد ، وهو نوع من دلالة الألفاظ (ينظر:أحمد محمد قدور: المدخل إلى فقه اللغة العربية، ص 217). ومن ذلك قول القائل :" زيدٌ لَيْثٌ " مشبِّهاً إيَّاهُ بليث في شجاعته. فلو قال: "هو كاللّيثِ الحَرِبِ" فقد زاد "الحَرِبَ" وهو الغَضْبان الذي حُرِبَ فريستَهُ، أي سُلِبها. فإذا كان كذا كان أدهى له.ينظر: ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 200.

(*)أي تعميم الخاص ويتمّ ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه، أو نقله من معنى الخاصّ الدّالّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمَل؛(ينظر:محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية،ص218 وعاطف مذكور:علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، ص289. بحيث" تُستعمل الكلمة الدّالّة على فرْدٍ أو على أفراد الجنس أو أنواعه للدّلالة على أفراد كثيرين أو على الجنس كلّه". عبد العزيزمطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية

: ، ص 375 ورمضان عبد التواب:التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينـــه ، 11.

لى نحو ما سنفصّل الحديث عنه في حينه تعريفاً وتطبيقاً.

محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص8.

لرجع السابق، ص9.

ن فارس، معجم مقاييس اللغة،88/3، مادة(سكن).

ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان : سر صناعة الإعراب، 1985م،7/1.

ابن فارس،معجم مقاييس اللغة، 302/1، مادة(بنى) والفيروزآبادي، القاموس 307/4، مادة(البنى).

محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية،ص26، مـــادة .

السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 346/1.

الزمخشري، ص334،مادة(شقق).

واو والقاف والفاء أصل واحد يدلّ على تمكث في الشيء، ثمّ يقاس عليه منـــه أقفُ وُقُوفاً، وقَفْتُ وَقْفي، ولا يقالُ أوقفْتُ إلاّ أنّهم يقولون للذي يكـــونُ في يترِعُ عنه: قد أوقفَ.(ينظر:ابن فارس:معجم مقاييس اللغة،135/6،مـــادة(أما في الاصطلاح ، فهو مذهب يقرن بالوحي و الإلهام في نشأة اللغة الإنسانية ا من عند الله، قال بـــه الأخفـــش الأوســـط(ت215هـــ) وأبـــو علـــي ،(ت377هـــ) وابن جنّـــي (ت392هـــ) في بعـــض أقـــوالهم، وابـــن ت395هـــ) مدافعا عن مذهب ابن عباس(ت68هـــ)، رضي الله عنه.(ينظر: : الخصائص، 41/1 و السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، ص8 وابن جني: ن،40/1، 47 ، وابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة،ص36. سار على هذا جمع من الفقهاء واللغويين عرض لهم السيوطي (ت911هـــ) بالتفصـــيل،

وبسط آراءهم ، وما جاءوا به من أدلّة نقلية وعقلية.ينظر: السيوّطي، المزهــر، 7/1-14.

(15) محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص19.

(16) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص219 وعاطف مدكور:علم اللغة بــين التراث والمعاصرة، 288.

(17) ينظر:إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ، ص 107وأحمد عبد الرحمن حماد:عوامل التطور اللغوي،ص135.

(16) ينظر:ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص 168والقالي:الأمــالي في لغــة العــرب، 307/2. ومن هذا النّحو عند الثعالبي (المَشْيُ). فدلالة المَشْي عامّة،وتختصّ كلمات أخرى بدلالات:(الحَبْو) للرّضيع ، و(الحَجَلان) للغُلام يرفَعُ رِجْــلاً ويمشــي علــى أخرى، و(الخَطَرَان) للشّابّ يهتزُّ نشاطاً، و(الدَّلَفُ) للشيخ يخطو رويــداً ومقاربَتُــه الخَطْو، و(القَزَلُ) للماشي في عَرَجٍ، و(الرَّفْلُ) مِشْيَةُ مــن يجــرُّ ذُيُولــه ويَرْكُضُــها بالرِّجْل،و(الاختيال)و(التّبختر)،و(الهَرْوَلــة)، و(التَّهَــادى) وغيرهــا مــن أنــواع المشي.(ينظر:الثعالبي:فقه اللغة وسرّ العربية، ص204-205 وابن سيده:المخصــص، 98/3-112 وثابت بن أبي ثابت:الفرق،ص 94، 96 والقالي: الأمــالي في لغــة العرب، 46/2 ، 289.وممّا جاء في هذا الأخــير:" الهَــدَجَانُ: مشــيُ الشَّــيْخ إذا أسْرَعَ".المصدر السابق، 191/1.

(17) السيوطي: المزهر، 1/ 433 والتبريزي: تهذيب إصــلاح المنطــق، ص 37، 294، 541 وعبد العزيز مطر: علم اللغة وفقه اللغة،ص 153. والجدير بالذكر هنا أنّ أبا عليّ القالي سمّاه الدَّلج أو الدَّلْجَةُ والإدلاج : فالدَّلَجُ والدَّلْجَــةُ : سَــيْرُ آخــر اللّيْل(أو اللّيل كلّه)، والإدلاجُ : سَيْرُ أوّله. ينظر:الأمالي في لغة العرب ، 13/1.

(18) ابن سيده: المخصص، 130/2- 131 وقطرب: الفرق ،ص 175، (باب لأصوات) وينظر:الخليل: العين،146/7، مادة(صوت)وابن دريــد:جمهــرة اللغــة،

2،وابن منظور:لسّان العرب، 2/57-58، مادة (صوت) و10/397،
عي) والثعالبي:فقه اللغة وسر العربية، ص 221-222، فصل(في تفصيل
ت الشديدة) والفيروزآبادي:القاموس المحيط،1/333، مادة(الفديد) .
السيوطي:المزهر 1/426.
الثعالبي:فقه اللغة وسرّ العربية،ص 26 وينظر:ابن قتيبة:أدب الكاتب، ص 85
يده:المخصص، 9/2،(باب ذكر السّماء والفَلَك).
قطرب:الأزمنة وتلبية الجاهلية ، ص11 وابن قتيبة: أدب الكاتب، ص 85
سي:التكملة،ص 140وابن سيده:المخصص، 9/3، (باب ذكر السّماء
.(

الفيروزآبادي:القاموس المحيط، 1/318، مادة(صَعِدَ).
المصدر السابق ،1/129،مادة (الكَعْبُ).
لقرشي،:جمهرة أشعار العرب،ص7 وأبو هلال العسكري:من كتاب
،ص 427 والفيروزآبادي: القاموس المحيط،1/242، مادة (الصرح).
ينظر:ابن فارس: معجم مقاييس اللغة،5/85، مادة(قزل)
زآبادي:القاموس المحيط، 4/38، مادة (القَزَلُ) وابن منظور:لسان
11/556-557، مادة(قزل) ويوازن مع ما جاء في: ابن سيده: المخصص،
1-112،(باب التبختُر) و(باب مِشْيَةُ المقيَّد والمقطوع الرِّجْل ونحوهما).
ابن سيده:المخصص، 8/111.
المصدر السابق، 2/59.
المصدر السابق، 2/59 والخليل: العين، 1/223،مادة(عرج).
بن سيده:المخصص،2/54.
مزة حمزة أبو النصر:اللغة العربية بين جهل أبنائها و كيد أعدائها ،العدد 25.

ثبت المصادر والمراجع

** المصحف الشريف.

*ابن جني، أبو الفتح عثمان :

- **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجّار،دار الهدى للطباعة والنشر،بيروت، ط2مصورة، دت.

- **سر صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، ط1، 1985م.

*ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : **المقدمة**، تحقيق درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ-1996م.

* ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن:**جمهرة اللغة**،دار صادر،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن،ط1345،1هـ.

*ابن سيده، أبو الحسن علي: **المخصص**،المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1317هـ-1321هـ.

*ابن فارس،أبو الحسين أحمد بن زكريا:

- **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للطباعةو النشر و التوزيع،1979م.

-**الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها**، تحقيق عمر فاروق الطباع،مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414 هـ- 1993م.

*ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم:**أدب الكاتب**، تحقيق وتعليق وفهرسة محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،ط2، بيروت، 1406هـ-1986م.

*ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**لسان العرب** ،دار صادر، بيروت، دت.

* أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،ط2، 1962م.

ـ، إبراهيم و منتصر، عبد الحليم و الصوالحي، عطية،و أحمد، محمد خلـف
لمعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت.*التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علـي:
إصلاح المنطـق،تحقيـق فخـر الـدين قبـاوة، منشـورات دار الآفـاق
ة،ط1،بيروت،1403هـ-1982م.
بن أبي ثابت:الفرق، تحقيق حاتم صالح الضامن،ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت،
19؛م.
لبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسر العربية،تحقيق سليمان سليم
عن دار الحكمة للطباعة والنشر بدمشق سنة 1404هـ-1984م.
جاني، أبو الحسن علي الشريف بن محمد: التعريفات،ضبط وفهرسة محمد بـن
كيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبنـاني، بـيروت،
1411هـ-1991م.
زي، محمود حجازي:الأسس اللغوية لعلم المصـطلح،دار غريـب للطباعـة
والتوزيع، تونس،دت.
أحمد عبد الرحمن:عوامل التطور اللغوي دراسة في نموّ الثّـروة اللغويـة،دار
للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983م.
: العين، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، وزارة
الإعلام، الجمهورية العراقية،1980م.
،أبو علي الحسن بن عيسى: رسالتان في اللغة ، منازل الحروف- الحـدود،
تعليق وتقديم إبراهيم السّامرّائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّـان ، الأردن،
م.
ري، أبو القاسـم محمـود الزمخشـري: أسـاس البلاغـة، دار المعرفـة،
ت،1399هـ - 1979م.
طي، جلال الدين بن عبد الرحمن:

-**الاقتراح في أصول النحو** ،تصحيح عبد الرحمن بن يحيى،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، 1359م.

-**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح و تعليق محمد أحمد جاد المولى و آخرون، دار الجيل، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت.

- **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** ، دار المعارف، ط2، 1401هـ- 1981م.

*عبد التواب، رمضان: **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**،مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض،ط1، 1404هـ- 1983م.

*العسكري، أبو هلال:**من كتاب الأوائل**،اختار النصوص وقدّم لها وعلّق عليها محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1984م.

*الفيروزآبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت.

*القالي،أبو علي إسماعيل:**الأمالي في لغة العرب**،،دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ -1978م.

* القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب:**جمهرة أشعار العرب** ،دار المسيرة، بيروت، طبعة2، 1398هـ-1978م.

* قدور،أحمد محمد:**المدخل إلى فقه اللغة العربية**، منشورات مديرية الكتب و المطبوعات بجامعة حلب، 1412 هـ - 1991 م.

*قطرب، أبو علي محمد بن المستنير:**الفرق**،تحقيق ودراسة صبيح التميمي ومحمد علي لرديني، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 بيروت، لبنان، سنة 1995م.

القيس، امرؤ :**الديوان**،دارصادر، بيروت، دت.

وي،أبو البقاءأيوب بن موسى الحسيني:**الكلّيات**،أعده للطبع عــدنان درويــش
نمد المصري،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق،1975م.
ـدي، محمد سمير نجيب:**معجم المصطلحات النحوية والصرفية**،مؤسسة الرســالة
لفرقان، بيروت، لبنان،ط1406،2هــ-1986م.

ك، محمد:**فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعــرض
العربية الأصيل في التجديد والتوليد** ، دار الفكر، ط5، بيروت، دت.

ور، عاطف:**علم اللغة بين التراث والمعاصرة** ،دار الثقافة للنشــر والتوزيــع،
هرة ، 1987م.

، عبد العزيز:

اللغة وفقه اللغة ، دار قطري بن الفجاءة، قطر، الدار التونسية للنشر، دت.
العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، دار المعارف، ط2، 1401هــ-
19م.

بين اللغة والمصطلح

أ / الدكتور قدور ابراهيم عمار

جامعة وهران

إن صفة التطور التي امتلكتها اللغة العربية جعلت منها كائنا حيا فيها ما في اللغات العظيمة الحية من صفات العبقرية، ففي الوقت الذي غادرت فيه اللاتينية ساحة الواقع العلمي والإنساني منذ عهد متقدم، حتى باتت الأعمال المكتوبة بها عبئا على وارثيها، بقيت اللغة العربية في عطائها وتراثها منذ ما يزيد على ألفي عام، وهو تاريخ الآثار المروية والمكتوبة بها.

لقد ورثنا لغة عربية ذات تاريخ طويل حفلت بثروة كبيرة وهيأ لها من أسباب الرقي مواد كثيرة استعانت بها على مسيرة العصور فكانت الفكر النير والحضارة المشعة.

لكننا نقول هل في لغة القرآن العربية الأصيلة جديد، نقول نعم وردت فيها ألفاظ جديدة لامست أذن العربي وذهنه لأول مرة، ولم يسبق أن عرفت في الاستخدام اللغوي لديهم، ولكن هل كانت هذه الألفاظ مقطوعة الصلة عن واقعهم. كلا، لقد جاءت هذه الألفاظ إما بصيغة اشتقاقية أو علمية أو استنباطية، ويصدق هذا على ما جاء في الحديث النبوي الشريف وكلام الصحابة رضوان الله عليهم.

وإذن فظاهرة التجديد اللغوي موجودة في كل عصر، وهي ليست ظاهرة # تغيير # أو # **تبديل**# في اللغة لأنها في الأساس تكون مبنية، إما على اشتقاق لغوي له أصل العربية أو على اسم # **علم** # ـــ إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد من جبل أو نهر أو أرض وما شابه ذلك. وهذا

بطبيعة الحال له امتداد في حياة الأمة ولا يبرز الاسم إلا ونجد له في تراث الأمة وتاريخها وما في حضارتها علاقة، وإما تكون مبنية على لفظة # استنباطية # كأن تكون أجنبية عربت أو عربية استعجمت ثم عادت، أو هي من جراء نحت أو صياغة جديدة من هذه وتلك، وكم من مظاهر التجديد اللغوي هي في حقيقتها عودة إلى الأصل القديم بعد أن أحياها الاستعمال، وكانت قد أميتت بسبب انتفاء الحاجة إليها، كالعودة إلى كلمة قطار للإبل فوظفت في عصر البخار للقاطرة.

إذا فظاهرة المصطلح اللغوي لا ينحصر في تجديد المفردة اللغوية المعاصرة التي فرضتها طبيعة المرحلة وحتمية التطور، ولا في إطار المفردة الموظفة في التعبير الجديد بنفس بنائها القديم لكن لمدلول جديد ولا في إطار العبارة المرسلة في المصطلح المستحدث بالصيغة الموروثة.

ومن أجل ذلك كان علينا أن نوفر لهذه اللغة ما يكفل لها أن تكون لغة عصرنا الحاضر مما جعل الكثير من اللغويين المحدثين أن يعمدوا إلى تعريب المصطلح العلمي في مختلف العلوم والفنون فكان اعتمادهم على وسائل كثيرة منها:

الترجمة، لقد ذلل اعتماد هذه الطريقة الكثير من الصعاب التي اعترضت سبيل الباحثين والمحققين مما جعل لغتنا الحديثة أن تحفل بالشيء الجديد الذي قتضته الحضارة الحديثة، ولم يقتصر هذا العمل أو هذا التجديد على لمصطلح العلمي بل تعداه إلى أمور، فقد تأثر باللغات الأوربية الحديثة ولا سيما الغربية منها، فنقلنا طرائقها في التعبير إلى لغتنا، وكان من نتائج ذلك كله أن جاءت اللغة العربية الحديثة بالجديد من حيث دلالاتها ومجازاتها.

وعلى سبيل المثال أسوق أمثلة للجديد من الدلالات في جملة مواد تجمعت لدي من خلال قراءاتي للصحف والمجلات والدوريات، التي شاع فيها استعمال الكثير من المصطلحات الغوية والأساليب الأعجمية في كتاباتهم حتى صارت من مادة عربية هذا العصر وطابعا عليها[1].

كلمة

1 # مواطنة # اسم فاعل من # واطن # أي ساكن وعايش وهو صيغة جديدة مولدة ذلك أن مادة # وطن # لم تنصرف إلى هذه الصيغة في الأساليب القديمة، وكأنهم أرادوا بتوليد هذه الصيغة من هذا الفعل الجديد أن يوجدوا ما يقابل الكلمة الفرنسية # compatriote #

2 : معاصرة ،

اسم فاعل من عاصر وهذا الفعل كنظيره السابق مما ولده أهل عصرنا هذا لحاجة تقتضيها هذه اللغة الجديدة، وكأنهم أرادوا ب # المعاصرة # الفرنسية.

3 السطحي،

والمراد من هذه الكلمة أنها صفة الرجل الذي لا يتعمق في مباشرة الأمور، وهي ترجمة للكلمة الفرنسية superficiel # ولما شاع هذا الوصف في هذا المعنى المجازي صاغوا منه المصدر الصناعي # السطحية # للدلالة على عدم التفكير العميق في النظر إلى الأمور.

---

[1] دراسات في اللغة ـــ للدكتور ابراهيم السمرائي

4 الانتهازي

والمراد من يحسن انتهاز الفرص والظروف محرزا على فوائد تعود عليه بالنفع، ومن هذه الكلمة صنعوا # الانتهازية # لهذا النوع من الخلق الاجتماعي، وهي أيضا ترجمة للكلمة الفرنسية # Opportuniste.

ومنها # **الوصولي**# وهو وصف جديد لمن يريد أن يصل إلى مآربه بكل طريقة ممكنة، وهو ترجمة # Arriviste

ومنها # الطليعي# ، وهو وصف جديد لكثير من الموصوفات، وتعني بالفرنسية # Avant-gard وتعني طليعة وقادمة ومقدمةمن الاصطلاحات العسكرية والحربية، وقد تستعار إلى غير هذه الشؤون فتدخل في ألفاظ الحياة العامة.

العميل والعملاء: والعميل من ألفاظ التجارة والاقتصاد،

والعملاء ما يتعامل معهم التاجر أي الذين يشترون منهم، وقد استعيرت إلى ألفاظ السياسة فصارت نبزا وسبا ووصفا للعاملين في صفوف الأعداء، وعلى هذا تجري الكلمة مجرى جواسيس.

وهي تعني أيضا **الحرفاء** جمع حريف وتعني ايضا الزبائن وهو جمع زبون، كما هو شائع عند المشارقة.

المؤامرة :

وهي من الكلمات التي حظيت بالشيوع في عصرنا، والمراد بها الدسيسة والفتنة والتدبير المحكم للتوصل إلى غرض ما، وهو معنى جديد لم يرد قبل هذا العصر في كتابات المتقدمين ذلك أن **المؤامرة** هي المشاورة وفي الحديث # آمروا النساء في أنفسهن أي شاوروهن في تزويجهن # من هذا يتبين أن المؤامرة والائتمار المشاورة، وكذلك التآمر على وزن التفاعل.

وهناك مصطلحات اقتصادية حديثة ولدت جميعها لتؤدي معاني الألفاظ الأعجمية مثل الاشتراكية والشيوعية والاستعمار، وقد اقتضى الأمر هنا أن يلجأوا إلى التعريب ولن يسلكوا طريق الترجمة فقالوا # **الامبريالية** # Imperialisme

وكذا **التأميم**: مصطلح جديد من مصطلحات أهل الاقتصاد في عصرنا ، وهم يريدون به ترجمة الكلمة الأعجمية، Nationalisation

6 **التخطيط** ، من المصطلحات الاقتصادية الحديثة وهو يقابل Planification ودلالته معروفة.

وبذلك نخلص القول إلى أن مسألة المصطلحات العلمية لا تزال متأثرة بالإقليمية، فهو في الأقاليم العربية الأخرى تستعمل بمعنى # **التصميم** #، ومنها **المنشآت** ، **والماركات المسجلة الكليشات، والمناورات، والمعطيات**، وهي كلمات ليست لها ما يقابلها في الأبنية العربية ومنها التقني والتقنية، وهما تعريب للكلمة الفرنسية # Technique # اسما ونعتا، فكأن التقني تقابل الاسم والتقنية صفة لموصوف مؤنث مختص بها.

أسأل الله التوفيق، والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.

النظام التصوري للمصطلح بين علماء اللغة و المناطقة

أ. عمر ديدوح

جامعة تلمسان

الملخص : يهدف البحث إلى إيضاح قضية النظام التصوري للمصطلح بين كل من علماء اللغة، وعلماء المنطق، للعلاقة الوطيدة بين وضع المصطلح، وبين المعنى الدلالي الموضوع له، و ما يتبع ذلك من عمليات منطقية .

الأستاذ عمر ديدوح

قسم اللغة العربية

جامعة تلمسان

البحث

مصطلح التصور أو المفهوم:

لتصور أو المفهوم concept هو موضوع علم المصطلح، و المركز الذي ندور حوله مباحثه،ولهذا سماه بعضهم conceptology.

لعلامة اللغوية عند سوسيور:

لعلامة اللّغويّة Linguistique sign هي المبدأ المركزي الذّي دارت حوله فكار سوسيور، وكان لهذه الأفكار آثارا بعيدة في علو كثيرة كعلم النّفس و الفلسفة و النّقد الأدبي.

اللّغة عند سوسيور: نظام من علامات أو وحدات لغويّة، تتعرف كل حدة منها بالوحدات التي تشترك أو يمكن أن تشترك معها في سياق.

و بيان العلاقات بين هذه الوحدات هو عماد الوصف اللغوي الدّقيق.

و العلاقات عنده نوعان:

علاقات تنعقد بين الوحدات المشتركة في السياق، و تعرف بالعلاقات الاقترانيّة أو الأفقيّة Associative relations مثل علاقة الكلمة (الطائرة) بالكلمة (سريعة) في الجملة (الطّائرة سريعة)

و علاقات تنعقد بين وحدات موجودة في السياق ووحدات أخرى غير موجودة في السياق، وتعرف بالعلاقات الجدوليّة أو الرّأسيّة مثل علاقة كلمة (الطائرة) بكلمة (السيارة أو الدراجة...) أو غير ذلك ممّا يمكن أن يحل محلّها. و هذا النّوع من العلاقات يقوم على التّداعي، فكلّ وحدة في السياق قد تستدعي وحدة أخرى أو وحدات تشترك معها في المعنى أو في الشّكل أو فيهما معا ([1])

وتعرف الوحدة اللّغويّة تعريفا جيد بتحديد موقعها من النّظام أو القائمةو التي تنتمي إليها، وهذا بدوره يتحدّد بدراسة علاقتها بغيرها من العلامات أو الوحدات على المحورين السابقين الأفقي و الرأسي. ومن ثمّ لا نستطيع أن نتعامل مع العلامة على أنّه حقيقة ذاتية مستقلّة بل ينبغي النّظر إليها كجزء من النّظام.

ولتوضيح هذا المبدأ يتحدث (سوسيور) عن لعبة الشّطرنج قائلا: لنأخذ قطعة منه، و لتكن (الفرس) مثلا، و نسأل: أهذه القطعة في ذاتها (من حيث هي فرس) عنصر في اللّعبة؟

([1]) ابن المقفع: منطق ابن المقفع، ص1-4.

لا بالتّأكيد؛ لأنّها (من حيث هي مادّة مصنوعة) إذا أخذت بعيدا عن مربعها في اللّوحة، و في ظروف أخرى لا تعني شيئا للاعب. إن هذه القطعة تصبح عنصرا حفيقيا ملموسا فحسب عندما تكتسب قيمة(حين توضع بين غيرها من القطع) هب أن هذه القطعة تحطمت أو فقدت في أثناء اللعب، فهل يمكن أن يحل محلها قطعة أخرى مشابهة؟ نعم بالتّأكيد، ولا يشترط في هذه الحالة أن تكون من نفس النّوع، بل قد تكون على هيئة لا تشبه الفرس أبدا.و هي تكتسب نفس القيمة إذا قامت بنفس القيمة إذا قامت بنفس الدّور (أي الدور الذّي كانت تقوم به القطعة المحطّمة أو المفقودة) ([2])

التصور عند المناطقة :

يعتمد علماء المصطلحيّة في دراستهم لموضوع التصور اعتمادا جوهريّا على ما أنجزه المناطقة القدامى أمثال فرفوريس الصوري و أرسطو و المحدثون أمثال كانت نتبين ذلك واضحا فيما يأتي من نقاط:

كيف يتكوّن التّصوّر؟

بين الفيلسوف الألماني (كانت) أن ثمة ثلاثة أنشطة لتكوين التّصوّر : المقارنة، والتأمّل، والتّجريد، فحين يقارن المرء الأشياء يدرك بعض أوجه التشابه و التباين بينها، و بالتأمّل يدرك أن عددا من الخصائص هو المسؤول عن هذا التّشابه أو التّباين، و عليه في نهاية الأمر أن يجرد، أو يحدّد الخصائص الجوهريّة التي تشكّل أو تؤلّف التّصوّر قيد البحث ([3])

بعد المفهوم : الشّمول و التضمّن:

---

2) السابق، ص41.

3) نيدو بيتي: التصورية و الدلالية، اللسان العربي، العدد 29، ص114.

لكلّ مفهوم بعدان أساسيان : أولهما كمي و الآخر كيفي، و يمثل البعد الأول شمول المفهوم من حيث الأفراد الذين يصدق عليهم، و يسمى هذا البعد في أبحاث المنطق التقليدي (بالمصادق)

ويمثل البعد الثاني تضمن المفهوم للصفات الجوهريّة أو الصّفات المرتبطة في ذهن الشّخص بهذا المفهوم، أي الصّفات المشتركة بين الأفراد الذّين ينطبق عليهم ذلك المفهوم ([4]).

خصائص التّصوّر (المفهوم):

هي العناصر التّي بها تحدد صفات المفرد (الموضوع) الذي يمثله المفهوم.

و تستخدم هذه العناصر لمقابلة المفاهيم بعضها ببعض، وتصنيفها، وصياغة تعريفاتها، وتميّز المفهوم من المفاهيم الأخرى، التي تشترك معه في بعض الصّفات، و في بناء المنظومات المفهوميّة، وفي هذه الحالة يطلق عليها الخصائص التصنيفيّة. و يتمّ اختيار الخصائص التّصنيفيّة في ضوء بنية وطبيعة الحقل العلمي الذّي تنتمي إليه المفاهيم المراد تصنيفها ([5]).

وهي — بعامة- صنفان:

الخصائص الجوهريّة:

المتقوّمة بذاتها، غير المفتقرة إلى غيرها، و المتعينة بما فيها، أي الخصائص الذّاتيّة الدائمة اللازمة للفرد المعرف، وأهمها : خصائص الشكل و الحجم و المادة و اللون و الطعم و الحرارة....إلخ

---

(4) القاسمي (د.علي): علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، اللسان العربي، العدد 30، ص89.

(5) السابق، ص90.

الخصائص العرضيّة: و هي الصّفات الخارجة عن ذات المفهوم، و لا تقوم بنفسها. مثل خصائص الغوض أي الوظيفة و الاستعمال، و الموضوع و المنشأ و المكتشف...إلخ ([6])

أنواع المفاهيم (التصورات):

و يفرّق بعض الباحثين بين نوعين من المفاهيم أو التّصوّرات:

مفهوم المحسوس الذي يمثّل أفراد أو أعيانا لها خصائص يمكن إدراكها بالحواس الظاهرة، مثل مفهوم سيارة، و شجرة...إلخ

مفهوم اللامحسوس الذّي يمثّل أشياء ذات خصائص لا يمكن إدراكها بالحواس مثل مفهوم الحريّة والعدل...إلخ

و كما يمثّل المفهوم عينا أو مفردة واحدة، فقد يمثّل – عن طريق التجريد- مجموعة من الذّوات أو الأشياء المفردة تشترك في صفات معيّنة.

و التجريد عملية ذهنيّة يسير فيها الذّهن من الجزئيات و الأفراد إلى الكليات و الأصناف.

و لا يقتصر دور المفاهيم على تمثيل الذوات أو الأشياء المعبر عنها بالأسماء، بل يقوم بتمثيل السمات أو الصفات المعبر عنها بالنعوت، و الأفعال المعبر عنها بالأفعال، و الأماكن و الأوضاع والعلاقات المعبر عنها بالظروف، و حروف الجر، و أدوات الربط و الوصل ([7])

العلاقات بين المفاهيم أو التّصوّرات:

لا ينبغي النّظر إلى المفاهيم كعناصر مستقلّة بذواتها- بل ينبغي النّظر إليها من حيث علاقاتها بالمفاهيم الأخرى.

---

6) المرجع نفسه، ص90.

7) المرجع نفسه، ص88.

و تتحقّق العلاقة بين مفهومين إذا اشتملا على خصائص مشتركة، أو إذا تجاور الفردان أو الموضوعان اللذان يمثلان في المكان أو تعاقبا في الزمان...الخ وتسمى العلاقة في الحالة الأولى مباشرة، و في الحالة الثانية غير مباشرة.

هذا ويمكن القول بأن العلاقات المباشرة هي علاقات منطقية على حين تعد العلاقات غير المباشرة علاقات وجودية([8])

العلاقات المنطقيّة:

علاقات تبعيّة أو تضمنيّة: Super ordination, sobordination و يندرج بموجبها الحدّ الأدنى في الحد الأعلى و يطلق عليها في المنطق علاقة النّوع بالجنس، بمعنى أن صفات النوع خاضعة لصفات الجنس و مندرجة فيها، بعبارة أخرى: إنّ خصائص مفهوم (الجنس) نقل بخاصيّة أو أكثر عن مفهوم (النوع) و تتمثّل رمزيا على النحو الآتي:

قارب (جنس)، قارب بخاري(نوع)

قارب > قارب بخاري

قارب بخاري < قارب

علاقة التقاطع : Overlapping

إذا كان للمفهومين خصائص متماثلة جزئيّا كانا مفهومين متقاطعين، و تتمثّل رمزيّا على النّحو الآتي:

التعليم × التربية

علاقة التناسق أو التوازي Co- ordination :

علاقة أفقيّة تربط بين مفهومين لهما مرتبة واحدة في التّصنيف مثل: مرتبة النوعيّة في الجنس الواحد، وتتمثّل رمزيّا كالآتي:

---

(8) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص3.

ميناء جوي // ميناء بحري

فالمفهوم الأوّل و الثّاني نوعان يندرجان في (جنس) هو : ميناء.

علاقة الميلان Diagonal :

و تتحقّق بين مفهومين يكونان نوعين لجنس واحد و لكن لا ترتبط بينهما علاقة تبعيّة أو تواز، ويرمز لها:

كلب سلوقي / قط .

العلاقة الوجوديّة: تقوم بين المفردات أو الأعيان Individual objects المنطويّة تحت مفهوم واحد و تبنى على أساس تجاور تلك الأعيان في المكان أو في الزّمان أو العليّة (العلّة و المعلول، أو السبب و النتيجة) أو النشأة أو الحاليّة أو المحليّة ....إلخ

وأكثر فئات العلاقات الوجوديّة شيوعا العلاقات الجزئيّة partitive (أي العلاقات بين الكل و الجزء

و تقوم هذه العلاقات على صورة من صور أربع:

تعبئة جزئيّة:

و هي علاقة رأسيّة بين عينين من الأعيان يزيد أحدهما عن الآخر في الأجزاء و يرمز لها بالرّمز( )

مثال شجرة ساق

إفريقيا مصر

تقاطع جزئي:

يشترك العينان في بعض الأجزاء فقط لها بالرمز ( )

لكيميائي الأحياء = الكيمياء الحيويّة

تواز جزئي:

و هي علاقة أفقيّة يقوم التّناسق فيها بين عينين يمثّلان جزأين من كلّ مشترك و يرمز لها بالرّمز ( )

الجذر الساق (حيث يتناسق الجذر مع الساق تحت الكل (شجرة)

ميلان جزئي: إذا لم يكن بين العينين علاقة تبعية أو تواز فإنّ العلاقة تكون علاقة ميلان جزئي ويرمز لها بالرّمز ( )

الألف المقلة، والكل الذي ينتميان إليه هو : الوجه.

هذا وقد تنعقد هذه العلاقات بين ثلاثة مفاهيم أو أكثر مثل إفريقيا بمصر بالقاهرة...إلخ ... ولا يتسع المقام لتفصيل القول فيها ([9])

و تسمّى العلاقة في الحالة الأولى مباشرة، و في الحالة الثّانية غير مباشرة.

المصطلح وحدة في منظومة من المفاهيم:

إن وضع مصطلح معين بإزاء تصور أو مفهوم معين يعني إلحاقه بنظام محدد من المفاهيم أو التصورات، بحيث يتلبس به أو قل يتخصص به.

وفي هذا يقول (هارتمان) إنّ أي مسرد يحاول تفسير علم من العلوم بذكر أمثلة من مصطلحات هذا العلم فحسب دون الإشارة إلى نظامه التصوري أو المفهومي Conceptual System محاولة غير كافية.

ويعرف النظام بأنّه عدد من التصورات أو المفاهيم الّتي تقوم بينهما (أو يمكن أن تقوم بينها) علاقات، وبها يتم تعريف الكل المترابط و من ثم فإن تصورات أو المفاهيم لا تتمثل في وحدات منفصلة بذاتها، ولا تعيش في عزلة بل بينها علائق قد تكون — كما قلنا سابقا — منطقية أو وجودية ([10])

---

(9) معجم مفردات علم المصطلح: اللسان العربي، العدد 19، ص209-210.

(10) Hartman and stork, Dictionary of language and linguistics.

وفي هذا المجال مجال الحديث عن ترابط المفاهيم و تكاملها يشير (كرستال) إلى تأثير وضع مصطلح جديد أو إعادة تعريف مصطلح قديم — في المصطلحات الأخرى- إن المصطلحات التي نستخدمها — ما دامت عضوا في نظام مفاهيمي — يعتمد بعضها على بعض، ومن ثم فإن تأثير تغيير مفهوم مصطلح قد يضطرنا إلى تغيير مفهوم المصطلحات الأخرى المتعلقة به([11]).

تصنيف التصورات أو المفاهيم:

التصنيف — كما يقول (نيدو بيتي) هو الطريق المنظم لربط أو فصل الأفكار التي تصوغها عقولنا في شكل تصورات، وكذلك ترتيبها ذهنيا. وبدا يصبح تصنيف التصورات أهدى سبيل للمعرفة، لأننا إذا نسقنا الأشياء أو بالأحرى تصوراتها في نظام محدد أصبح لدينا قائمة طيبة لحقل معرفي بعينة أو صورة كلية عنه([12]).

وأشهر منظومة للتصورات هي المنظومة المنطقية التي ابتدعها فرفريوس الصوري حيث يمثل جنس الأجناس أعلاها ثم يتدرج التصنيف نزولا إلى نوع الأنواع الذي يتوزع في أفراد على النحو التالي:

كائن (جنس الجناس)

جسم

حي

حيوان

إنسان (نوع الأنواع)

ليلى —أحمد.... (أفراد).

---

(11) Crystal, Lingustics, p91.

(12) نيدو بيتي: التصورية و الدلالية، ص112.

وفي هذا التصنيف يكون ما بين (جنس الأجناس) و (نوع الأنواع) نوعا لما قبله وجنسا لما تحته.

وثمة تطور في طريقة عرض منظومات التصورات من استخدام الشكل الشجري إلى استخدام الشكل الهرمي و من أمثلته.

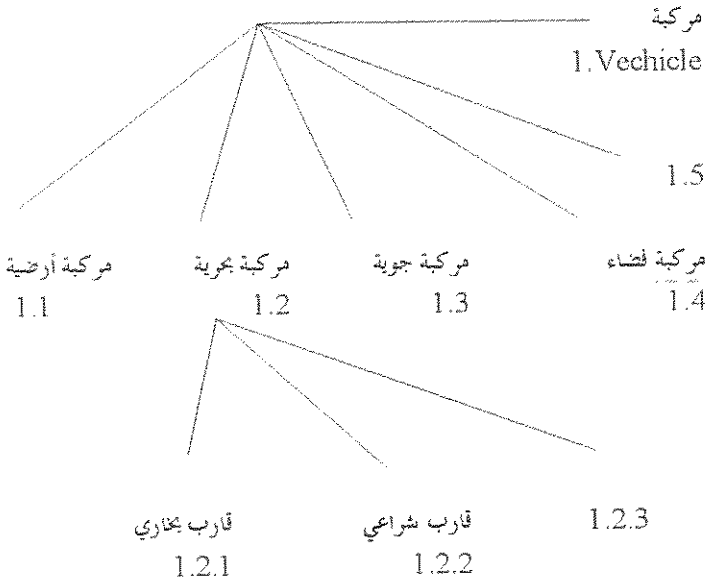

وحين يستعمل المرء الشكل الهرمي بدلا من الشجري فإنه يصمم سلسلة كاملة من التصورات التي تضم تصورات متشابهة بدلا من التصورات المتضادة.([13])

ثانيا: في التراث العربي

---

(13) ينظر: التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، وموسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب في المداخل: اسم وتصور ومفهوم ومعنى. و العلوي اليمني الطراز، ج1، ص 32.

لا يتسع المقام لعرض ما قيل عن التصور أو المفهوم في التراث العربي، فما أكثر ما قيل عنه وعما يرادفه من ألفاظ. ومع ذلك فتمت إتفاق بين اللّغويين و المناطق و الأصوليين على المبادئ الأتية التي تمثل مركز الدائرة في هذيا الموضوع:

التصور و المفهوم و المعنى ألفاظ مترادفة، فالتصور هو الصورة الدهنية لما يتحدث عنه، و المفهوم والمعنى- كما يقول التهانوى-: متحدان بالذات، فإن كلا منهما هو الصورة الحاصلة في العقل.

المعنى في التصور أن يكون تصورا لمحسوس أو لمجرد. فليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له في الوجود مثال.

المعنى هو علاقة بين اللّفظ و المفهوم أو بعبارة أخرى بين اللفظ و الصورة الذهنية، ومن ثم تستعبد من الدراسة الموجودات أو الأشياء لأن الحقيقة في وضع الألفاظ- كما يقول العلوى-: إنما هي الدلالة على المعاني الذهنية دون الموجودات الخارجية.

التصور قائم في ذهن الماكلم و السامع كليهما كل لفظ يجري بين الناس في مفاوضتهم ومحاورتهم فله معنى في ذهن قائله... وفي ذهن سامعه([14]).

إن المبادئ السالفة التي تحدد خصائص (التصور) في التراث العربي تؤدي ما يؤديه التعريف المعتمد في توصية (أيزو) التي سبق الحديث عنها، وإن كان تعريفنا يقتصر على الرمز اللفظي على حين يتسع تعريف الأيزو فيشمل كل الرموز التي يمكن استخدامها في مقبل التصور.

---

(14)ينظر: التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، وموسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب في المداخل: اسم وتصور ومفهوم ومعنى. و العلوى اليمنى الطراز، ج1، ص 32.

وبعد فلا أزعم أن النظرية الحديثة في المصطلحية والتي جوهرها موضوع العلاقة بين المفاهيم التي تشكل منظومة موضوعية محددة لها مثيل في التراث العلمي عند العرب، لأن هذه النظرية- من حيث هي أساس علم المصطلح- لم تتبلور إلا في أخريات النصف الثاني من القرن الثاني من القرن العشرين، وإن كانت عناصرها تعد من مباحث المنطق اليوناني القديم ومستفادة منه.

ولكن أزعم أن العرب- بعد أن ترجموا المنطق اليوناني في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري- عرفوا من عناصرها ما عرفه اليونان. و العلوم عند العرب شرعية وغير شرعية اعتمدت- على نحو أو آخر- أساليب المنطق اليوناني الصورية، ومن ثم تناثر بين مباحثها ملاحظات عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ و المفاهيم وبين المفاهيم أنفسها، كما أنّ كثيرا من مصنفاتهم المصطلحية قائمة على أساس منها:

ولعل في الفقرات الآتية ما يهدي إلى شيء مما زعمناه

المنطق اليوناني في الفكر الإسلامي:

من المعروف- كما أوضحنا فيما سلف- أن الأورجانون الذي يضم كتب أرسطو المنطقية الثمانية كان له مكانة خاصة عند العرب منذ مطلع النهضة في عصر بني العباس، وكانت أجزاؤه الثلاثة ألولى (المقولات، و العبارة و التحليلات) بالإضافة إلى ترجمها عبد الله بن المقفع (ت 139هـ)، ثم ألحقت بها الأجزاء الأخرى وشرحت واختصرت.

ومن ذلك الترجمات المبكرة: ترجمة ابن بهريز (ت252هـ) و الكندي (ت205هـ)، ثم تتابعت الترجمات، وكان من أشهرها ترجمة إسحق بن حنين (ت298هـ) للمقولات و العبارة.

وقد كان تأثير منطق أرسطو في الفكر الإسلامي بعامة واضحا. فعد عندهم آلة للتفكير، وكانت أساليبه الصورية مستخدمة في أغلب العلوم.

ولعل ما أعطاه هذه الأهمية الكبيرة في مجال الفكر اللغوي ومن ثم المصطلحي أنّه يتضمن معلومات لغوية عزيرة، ففي المدخل و المقولات عرض للألفاظ .وعلاقتها بالتصورات وتحديد للكليات الخمس: الجنس و النوع و الفصل و الخاصة و الغرض.

و المقولات العشر: الجوهر، و الكم و المضاف و الأين و المتى.... الخ وحديث مطول عن الحد وكيف ويكون ومواضع الزلل فيه. وفي (العبارة) يتحدث أرسطو عن الجملة و القضية وصلة ما بينهما، وما تتألفان منه، ولم تخل كتبه الأخرى من إشارات لغوية. وهذه هي أصول التفكير ومادة المصطلحى.

كان منطق أرسطو معروفا إذا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ولعل الذين دوانو العلوم في هذه الفترة عرفوا شيئا عنه واستخدموا أساليبه الصورية فيما صنفوا.

وفي النصف الأول من القرن الثالث أصبحت مفرداته شائعة بين العلماء مما أثار بعض الدوائر المحافظة، فهاجمه بعضهم كابن قتيبة ت 272هـ وعدة هذيانا لا ينال منه بطائل.

وقد تبلورت عناصر المنطق الأرسطى وتيسرت لغته واستقرت مصطلحاته بما كتبه الكندي ثم بما ألفه الفارابي ت 339هـ الذي بذ جميع أهل الإسلام في هذه الصناعة، فضرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وهو صاحب ثلاثة من الكتب الأصول التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ

و التصورات، وتحدد مفردات التفكير اللغوي بعامة و المنطقي بخاصة، وهي (كتاب الحروف) و (كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق) و (كتاب إحصاء العلوم).

بدايات التأليف العلمي في الفقه و المعجم و النحو:

تنتسب بدايات التأليف العلمي القائم على أسس منهجية إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، ففي هذه الفترة ظهر علم الفقه و النحو و المعجم. يذكر المؤرخون أن أبا حنيفة أول من دون الشريعة لما رأى العلم (يقصد مسائل الفقه) منتشرا، فدونه أبوابا مبوبة وكتبا مرتبة، بدأ بالطهارة ثم بالصلاة.... ثم بسائر العبادات على الولاء، ثم بالمعاملات ثم ختم بالمواريث. وينسب شيء كهذا إلى الإمام مالك.

وقد استقر هذا الترتيب الموضوعي لمسائل الفقه بين المصنفين جميعا على تعدد مذاهبهم، مع اختلاف يسير في تقديم بعض الأبواب على بعض، وأوضح مثال لطريقته ما صنعه تلميذه الشيباني ت 189هـ فقد رتب (المبسوط) وهو من أصول المذهب الحنفي ترتيب أبي حنيفة بل إنه قسم الأبواب إلى فصول أو مطالب. وهكذا تكون علاقة الانتقال من العموم (الباب) إلى الخصوص (الفصل) مرعية.

وهذا أيضا واضح في كتاب (الأم للشافعي) ت 205هـ الذي ينتسب إلى المرحلة السابقة نفسها.

وقد بلغت المؤلفات الفقهية في القرن الرابع و الخامس درجة عالية من حيث التبويب وعرض الأحكام واستيفاء التعريف، فالمؤلّف ينتظم في كتب أو أبواب، و الباب ينتظم في فصول أو مطالب وفي الفصل عرض منظم للمسائل و الأحكام. وفي الباب تصريح بالأركان و الشروط ونوع الحكم،

وفي تلك المؤلفات تجد العناية بالحدود أو التعريفات، ويربط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي. ونظرة فيما سبق أن عرفناه من المؤلفات الفقهية المعينة بغريب الفقه وبحدوده تكشف عن وعي واضح بعناصر. و استيفاء شروطه مما كان له أبعد الأثر في استقرار المصطلحات الفقهية و دقة تصوراتها.

كان معجم (العين) الذي ألفه الخليل بن أحمد ت 180هـ أول معجم منهجي يضم مفردات العربية منسوقة على أسس محكمة، فهو مؤلف من كتب مرتبة تبدأ بأقصى حروف العربية مخرجا وهو العين إلى أدناها مخرجا وهي حروف العلة، وتترتب الجذور في الكتاب وفقا لبنيتها من الثنائي فالثلاثي فالرباعي...الخ.

وفي تلك المرحلة نفسها يظهر أول مصنف موضوعي للألفاظ العربية صنعه أبو عبيد بن سلام ت 221هـ سماه (الغريب المصنف) وهو ينقسم إلى خمسة وعشرين كتابا يحتوي كل كتاب منها على عدة أبواب.

ويضم المصنف كله ما يقرب من 900 باب تختلف طولا وقصرا([15]).

و المنخفض في (فقه اللغة) للثعالبي ت 429هـ يتبين بوضوح كيف توزع في أبواب وفصول وفقا لموضوعات الألفاظ، بل يتبين أيضا من خلال حصر الألفاظ كثيرا من العلاقات المنطقية و الوجودية كالترادف و التضاد والتوالي و العموم و الخصوص و الجزء و الكل... الخ مما يعد من أصول أي منظومة مصطلحية.

ونظرة في كتاب (مبادئ اللغة) للإسكافي ت 421هـ وهو من معاجم الموضوعات نلاحظ أن مؤلفه قد راعى في الألفاظ الداخلة تحت عنوان

---

(15) ينظر: عبد العزيز (د. محمد حسن) مصادر البحث اللغوي، ص92.

موضوعي مجموعة كبيرة من العلاقات المنطقية والوجودية. وأوضح مثل لذلك (باب الخبز و ألاته)([16]).

ويعد كتاب (المخصص) لابن سيدة ت 458 هـ من أول معاجم الموضوعات مادة، وهو ينقسم إلى كتب وأواب، لكل منها موضوع تدور حوله ألفاظها بيد أنها تتشعب وتتفرع أحيانا بحيث تصبح وكأنها لا مركز لها.

وقد راعى ابن سيدة في معالجة مادته أن يربط بينهما علاقة ما منطقية أو وجودية، وصرح بذلك في مقدمة كتابه فقال: فأما فضائل هذا الكتاب من- قيل وضعه فمنها: تقدم الأعم فالأعم على الأخص، و الإتيان بالكليات قبل الجزيئات، و الابتداء بالجواهر و التقنية بالأعراض، على ما يستحقه من التقدم و التأخير، وتقديمها كم على كيف، و المحافظة على التقييد و التحليل.

ولكنه-وبكل أسف- لم يلتزم بمنهجه في كل الأبواب. ينظر (ص101-102).

ومن طريق مصنفات الثروة اللغوية التي تكشف عن أنواع متعددة من العلاقات الدلالية ما سمي بالمداخل مرة و بالمشجر مرة و بالمسلسل مرة، وأقدم هذه المصنفات (المداخل) لأبي عمرو بن عبد الواحد (ت345هـ) و (شجر الدر) لأبي الطيب اللغوي (ت251هـ) و (المسلسل) لأبي الطاهر محمد بن عبد الواحد (ت 538هـ) وفي عنوانها ما يشير إلى موضوعات،

---

(16)ينظر: عبد العزيز (د. محمد حسن) مصادر البحث اللغوي، ص70-75.

يقول أبو الطيب في سبب تسمية الباب من الكتاب شجرة: لإشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله، وكل شيء تداخل بعضه في بعضه فقد تشاجر.

وطريقة هذه الكتب في تصنيف مفرداتها أن يبدأ الباب من أبواب بكلمة أولى تكون مفتاحا، ثم يفسر معناها بكلمة ثانية، ثم يفسر معنى الثانية بثالثة ثم يفسر معنى الثالثة برابعة، وهلم جرا إلى أن يغلق الباب بكلمة آخرة تكون خاتمة له، ثم يستأنف الأمر في الباب الذي يليه على ذلك النمط إلى آخر أبواب الكتاب.أنظر (ص150-151).

و في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ظهر أول كتاب في النحو هو كتاب سيبويه ت 180هـ وهو كتاب كامل يضم كل ما يتصل بالعربية من أصوات وصرف ونحو بالإضافة إلى معارف أخرى عروضية وبلاغية، وفيه ملاحظات عديدة عن العلاقة بين اللفظ و المعنى، ففي باب بعنوان (هذا باب اللفظ للمعاني) يتحدث عن:

اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو جلس وذهب.

اختلاف اللفظين و المعنى واحد نحو ذهب وانطلق وهو (الترادف).

جـ- واتفاق اللفظين و المعنى مختلف نحو: وجدت عليه من الموجودة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وهو (المشترك اللفظي) ([17]).

ملاحظات في علوم أخرى:

ومن أهم العلوم التي نجد فيها عناية بموضوع العلاقات منطقية أو وجودية علم البلاغة، فعند علاج البلاغيين لموضوع المجاز المرسل أفاضوا في الحديث عن العلاقات بين ما يستعل فيه اللفظ وما وضع له وبلغت عند بعضهم لعشرين عدا، ومن هذه العلاقات: الكلية و الجزئية و السببية و المسببة،

---

(17) ينظر: سيبويه، الكتاب 24/1.

والمحلية و الحالية و المجاورة و الآلية، واعتبار ما كان واتبار ما يكون، و العموم و الخصوص، والتضاد (تسمية الشيء باسم ضده) و الملابسة (تسمية الشيء باسم ما يكون ملابسا له) والمشابهة (تسمية الشيء بما يشابهه) و الفائية (تسمية الشيء باسم الغاية التي يصير إليها) و المشارفة (إطلاق الفعل على ما يقاربه)... الخ ([18]).

ومن أهم العلوم التي نجد فيها عناية بالمصطلح وخصوصية في علاجه علم التصوف.

و التصوف تجربة وجدانية خاصة، و المعرفة – عند أصحابها- قائمة على الذوق لا العقل، وتختلف باختلاف الأشخاص و الأوقات و الأحوال.

وقد لجأ الصوفية إلى اللغة الرمزية للتعبير عن تجاربهم، وغالبا ما يكون لألفاظهم معنيان أحدهما يستفاد من ظاهر الألفاظ و الآخر بالتحليل و التعمق. وهذا المعنى الأخير يكاد يستغلق على من ليس بصوفي.

وقد عني المصنفون من التصوفة كالطوسي و القشيري و السهروردي و الهجويري ...الخ بلغة أهل الطريق و بالعلاقات التي بينها وبين تصوراتها، وأفردوا لذلك باب في كل مصنف حتى أصبح تقليدا مرعيا.

ويغلب أن تجيء الألفاظ في هذا الباب مثاني أو مثالث، يفسر كل لفظ قرينة أو قرينيته. فالفناء يفسره و البقاء يفسره الفناء...الخ وكذلك الحال بين الاسم و النعت و الصفة.

وقد حرصوا على أن يصرحوا بأنهم فعلوا ذلك لكي تتكشف نسبة كل لفظ منها إلى الآخر.

---

(18) ينظر: سيبويه، الكتاب 24/1.

ومن أهم العلاقات التي راعوها عن مقاصدهم علاقة المباينة أو التضاد، فالفناء يقابل البقاء والشريعة تباين الحقيقة و الظاهر يضاد الباطن، وكذا الحال بين القبض و البسط و الجمع والفرق... الخ.

على أنه ينبغي الحذر عند فهم مثل هذه العلاقة على نحو ما تعرفه اللغة أو المنطق، فقد يكون لها-كما قلنا سلفا-معنى باطني على خلاف ما تشهد به اللغة أو المنطق.

فالحق مثلا يباين الخلق في اللغة وفي اصطلاح المتكلمين وبعض المتصوفة، ولكنهما لا يتباينان عند ابن عربي وعند غيره من القائلين بوحدة الوجود، لأن الحقيقة الوجودية عنده واحدة في جوهرها وذاتها وإن تكثرت بصفاتها وأسمائها، وكذلك الحال بين الواحد و الكثير والقديم و الحادث والأول و الآخر و الظاهر و الباطن ما هي إلا أسماء وصفات للحقيقة الوجودية الواحدة.

وعلاقة الترادف أظهر ما تكون بين ألفاظهم، بيد أن لهم في المترادفات مقاصد خاصة لاختلاف أحوالهم وأشخاصهم.

فالمكاشفة هي المشاهدة، و الصحو هو الحضور و الغيبة هي الحضور بيد أن الكشف و الصحو والغيبة أقوى في التعبير عن حال الصوفي من مرادفاتها.

وفي هذا يقول الطوسي: و التجريد و التّغريد و التوحيد ألفاظ مختلفة لمعان متفقة، و تفصيلها على مقدار حقائق الواجدين و إشاراتهم.([19])

---

19) يضيف إليها الخوارزمي (الشخص مثل زيد وعمرو وهذا القرس وذلك الحمار وربما سموه لعين.

يضيف اخوان الصفاء الشخصية ولها عندهم أهمية كبرى.

يضيف الكندي سادسا وهو (الشخص ويعده جوهريا).

و قد يكون اللّفظ أقوى من مرادفه لأنّه يقع بعده في تطور حال الواجد، فالبادى و هو الذّي يبدو على القلب في الحين من حيث هو حال العبد يجيء أولا ثم يعقبه (الوارد) فيستغرق حاله كلّه.

و قد يكون الفرق بين التصورين راجعا إلى غختلاف الواجدين: فالقادح قريب من (الخاطر) إلاّ أنّ الخاطر بقلوب أهل اليقظة و (القادح) لأهل الغفلة.

و يتعدّد مدلول اللفظ الواحد لأسباب لعل أشهرها اختلاف مراحل الطريق أو سالكيه،

فاللفظ في كلّ مرحلى يتضمّن درجة من المعنى تخصّه، فالتوبة عند العامى غيرها عند السّالك غيرها عند المحقّق.

و لعلّ محاولتي الهروى و ابن عربي في تصنيف ألفاظ المتصوّفة أو اصطلاحاتهم جديرتان بتفصيل في هذا المقام.

فكتاب (منازل السائرين) الهروى (ت 41هـ) محاولة طريفة لحصر مراحل الطريق و تحديد معالمها.

بيّن الهروى في مستهلّ كتابه أن الطّريق إلى الحقّ يمرّ بمنازل عشر، لكلّ منها مقامات عشر، رتبها بما يشير إلى علاقة كلّ منزلة بالمنزلة التّي تسبقها و بما يتفرّع عنها.

الفرقان الأخص عند ابن المقفع: هو الذي بين الصورتين (النوعين كالحيوان و المسوات و السباطق

و الفرقان الخاص: ما يفرق بين الشيء و غيره من أهل صورته كالنعي و الفطن).

و الفرقان العام: لا يفرق بين الشيء وغيره، ولكن بين حالاته نفسه كالشباب و الهرم.

و ليس أمام سالك الطّريق إلاّ أن يبدأ الطّريق من مرحلته الأولى (مرحلة البدايات) فإذا ما استوفى حقائقها انتقل إلى المرحلة الثّانيّة (مرحلة الأبواب) ثمّ إلأى المرحلة الثّالثة...

و هكذا إلى المرحلة العاشرة و الأخيرة (مرحلة النّهايات) و قمتها كما يقول (التّوحيد)

و بهذا العرض الفريد يفسر الهروى مائة مصطلح صوفي عن منازل الطّريق أو مسالك أهلها. و قد أخذه عنه المصنفون في المصطلح الصوفي و بخاصّة الكاشاني في مصنّفاته الثلاثة التي تحدثنا عنها سلفا.

أما محاولة ابن عربي في بيان التّداخل أو التّشاجر بين مصطلحات القوم فكانت أكثر طرافة وذاتيّة، و قد صنعها على غرار كتب المداخل و المشجّر و المسلسل التي أشرنا إليها سلفا، بل إنّه وضعها تحت عنوان (مساق المسلسل في لغة العرب: شرح ألفاظ القوم) وهذا العنوان يذكّرنا بكتاب مواطنه أبي الطاهر من بين يوسف السرقطي (ت 538هـ) (المسلسل في غريب لغة العرب)

و تعرض هذه الكتب ألفاظا عديدة تنتظم في أبواب تتقارب ألفاظ كل باب و تتداخل على نحو ما شرحناه سلفا، غير أن ابن عربي جعل ألفاظ القوم جميعها- و هي مائة و ثمانون – بابا واحدا، فكأنّها جميعا متقاربة متداخلة، بدأ الباب بكلمة التصوّف التي تعقبها وتتعلّق بها كلمة اليقظة، التي تعقبها و تتعلّق بها كلمة الانتباه التي تعقبها و تتعلّق بها كلمة العبودة.... إلى آخر الباب حيث يقول: إنّنا قد بيّنا لك ارتباط المقامات و المراتب بضرب من التّناسب و تعلق بعضها ببعض.

و الحق أنّنا قد لا نتبيّن المناسبة بين كلّ كلمة و ما يتعلّق بها في بعض الأمثلة و لكنّها علاقة حاضرة في ذهن ابن عربي نفسه، و مرتبطة بما يتلبس في خياله من معان و تداعيات أنظر (ص.150-151).

المصطلح الفقهي و أثره في الدرس النحوي

أ. رويـــــسات محمد
اللغة العربية و آدابها
المركز الجامعي سعيدة

1- مقاربة تاريخية :

إن ما يؤكد تأثر علم النحو وأصوله في مجال وضع المصطلحات بعلم الفقه وأصوله، السبق التاريخي للتأليف في الأصول والتأسيس للمفاهيم والمصطلحات.

إذا ما عقدنا مقاربة بين أصول الفقه، وأصول النحو من حيث النشأة التاريخية يتبين بما لا يدعو إلى الشك، أو يثير الارتياب، أن الأولى أسبق من الثانية كيف لا؟ وقد عرفت أصول الفقه منذ عهد الصحابة ونضجت على يد الإمام الشافعي المتوفى سنة (204هـ) الذي ضبطها في كتابه (الرسالة) وهو أول كتاب صنف في أصول الفقه، ومن ثمة توالى الأئمة والعلماء على شرحها، والاستضاءة بنورها، والإقتداء بهديها، وأصبح علم الأصول علما مستقلا، وثبتت أبوابه وحررت مسائله، ودققت مباحثه[1] بينما الدراسات الأصولية في النحو بدأت بداية بسيطة، وهذه هي سنة النشوء ، فكل شيء يبدأ بسيطا ثم ينمو، ويتكامل حتى ينضج، وهكذا كانت نشأة علم أصول النحو، فقد بدأت خطواته الأولى ببداية الدراسات النحوية ممتزجة بها، غير منفصلة عنها، إلى أن جاء أبو بكر السراج المتوفى سنة 316 هـ، والذي وضع كتابه أصول النحو، ويقول السيـــوطي: "وقيل ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السّراج بأصوله "[2]

وفي النصف الثاني من القرن الرابع نجد أنفسنا أمام أول محاولة لوضع كتاب خاص بأصول النحو ،و الذي قام بهذه المحاولة هو النحوي الشهير أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392 هـ، وذلك بوضعه لكتابه القيم (الخصائص)، ويبدو أن ابن جني هو أول من نص على الصلة الوثيقة بين علم النحو وعلل المتفقهين، فذكر أن النحويين انتزعوا عللهم من كتب محمد ابن الحسين الشيباني المتوفى سنة 189 هـ، إذ يقول: "وكذلك كتب محمد بن الحسين رحمه الله، إنما ينتزع أصحابنا منها العلل لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامهم ، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة، والرفق، ولا نجد له علة في شيء من كلامه مستوفاة محررة ، وهذا معروف من هذا الحديث عند الجماعة غير منكور" [3].

ثم جاء بعد ابن جني من ألف في هذه المادة، فصنف أبو البركات عبد الرحمان ابن محمد ابن عبد الله ابن أبي سعد الأنباري المتوفى سنة 577هـ كتابه (لمع الأدلة في أصول النحو) ، وكتب في مقدمته: "أصول النحو هي التي تفرعت منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه هي أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملته وتفصيله، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة، والتعليل، والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل فإن المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض الشك والارتياب" [4].

فالأنباري قد بين أن أصول النحو مشابهة لأصول الفقه، وموضوعة على غرارها وأن هناك ارتباطا قويا بين المادتين، وأن مادة أصول الفقه سابقة على مادة أصول النحو فعلماء النحو نظروا في أصولهم إلى علماء أصول الفقه[5].

ويعد كتاب الأنباري (لمع الأدلة في أصول النحو) كتابا فريدا ومؤلفا مبتكرا في بابه، هدف فيه ابن الأنباري إلى صياغة فن نحوي جديد على نمط أصول الفقه، وبناه على ثلاثين فصلا ، عالج فيها أصول النحو، وأقيسته، وأدلته، وعلله ، و هو أول كتاب نحوي خاص في فن الأصول، وإن كانت كثير من مباحثه منثورة في كتب المتقدمين، خاصة كتاب (الخصائص) لابن جني، كما ألف الأنباري كتاب (الإغراب في جدل الإعراب)، وهو عبارة عن مزيج من الدراسات النحوية، والكلامية، والفقهية، فقد ترددت فيه عبارات هذه الفنون جميعها. ويصنف ابن الأنباري كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) على نمط كتب الأصول حيث يقول في المقدمة: "وبعد فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين المشتغلين بعلم العربية بالمدرسة النظامية ـــ عمر الله مبانيها ـــ يسألوني أن ألخص لهم كتابا لطيفا يشمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة "[6].

ولما ظهر السيوطي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري دفعته رغبته في التأليف إلى وضع مؤلف في أصول النحو، فوضع كتاب (الاقتراح)، وزعم في مقدمته أنه هو الذي ابتكر هذا الفن من التأليف وأنه هو أول من جرد مؤلفا خاصا في أصول النحو وإليك نص مقالته: "هذا كتاب غريب الوضع، عجيب الصنع، لطيف المعنى، طريف المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله، في علم لم أسبق إلى ترتيبه ولم أقدم إلى تهذيبه، وهو (أصول النحو)، الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة للفقه، وإن وقع في متفرقات كلام بعض الملفين، وتشتت في أثناء كتب المصنفين"[7].

ويظهر أن السيوطي قد شرع في تأليف كتابه (الاقتراح) قبل اطلاعه على كتابي ابن الأنباري(لمع الأدلة، والإغراب في جدل الإعراب)، لذلك زعم في مقدمته أنه هو أول من ألف كتابا في هذا الفن ، و في هذا السياق يأتي كتاب (الأشباه و النظائر) للسيوطي في مقدمة الكتب التي بحثت في أصول النحو، وفروعه، وهو ثمرة من ثمرات التفاعل الذي جرى بين العلوم الدينية والعلوم العربية. و ذلك أن السيوطي قد ابتغى في كتابه هذا أن يتناول مسائل النحو على غرار كتب الأشباه والنظائر الفقهية، فهو يمثل مرحلة متأخرة من مراحل تأثر الدراسات النحوية بالفقه وأصوله من حيث التبويب، والتقسيم، والترتيب. وقد عبر السيوطي نفسه عن ذلك خير تعبير حينما قال: "و أعلم أن السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب ، أني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر" [8].

وهكذا يتضح جليا — لدى استقرائنا للتاريخ — من خلال تتبع هذه النصوص مدى تأثر النحاة بأصول الفقه في تصنيف مؤلفاته لتأسيس أصول النحو قديما وحديثا.

ويتجلى هذا التأثير في مظهرين أساسين هما: المصطلح، ومنهج الدراسة والبحث، وسأقصر الكلام على المصطلح الفقهي ومدى إفادة النحاة منه.

2- مظاهر تأثير المصطلح الفقهي في الدرس النحوي:

لقد تم توظيف الكثير من المصطلحات الفقهية في الدراسات النحوية، حيث اعتمد النحاة عليها في تصنيف مؤلفاتهم، من ذلك أن كتاب (الإغراب في جدل الإعراب) لابن الأنباري، وهو عبارة عن مزيج من الدراسات النحوية، والبحوث الفقهية ، فقد ترددت فيه عبارات هذه الفنون جميعها،

والأمثلة على ذلك كثيرة . نذكر منها ما أورده في كلامه عن الاستدلال حيث يقول: "أعلم أن الاستدلال طلب الدليل كما أن الاستفهام طلب الفهم والاستعلام طلب العلم، والدليل عبارة عن معلوم يتوصل تصحيح النظر فيه إلى علم ما لا يعلم في مستقر العادة إضرارا".

وأدلة صناعة الإعراب ثلاثة: نقل، وقياس، واصطحاب حال، فأما النقل فالكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، وأما القياس، فهو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، وأما اصطحاب الحال فإبقاء اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل كقولك في فعل الأمر: إنما كان مبنيا لأجل الأصل في الأفعال البناء، وأن ما يعرب منها لشبه الاسم، ولا دليل يدل على وجود الشبه، فكان باقيا على الأصل في البناء[9].

كذلك الحال بالنسبة لكتابه (لمع الأدلة) وهو مؤلف موجز قد بناه مصنفه على ثلاثين فصلا ، بحث فيها كل ما يتعلق بعلم الأصول مثل: أصول النحو، ومعناه، وفائدته وأسام الأدلة النحوية، والنقل وأقسامه، والعلة والاستدلال، والاستحسان، واصطحاب الحال، وما إلى ذلك من أنواع البحوث الأصولية.

وقد تناول ذلك كله على طريقة الأصوليين من أهل الفقه والدين، فجاءت تعابيره ومصطلحاته مماثلة لتعابيرهم وألفاظهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمثلا: لما عرض على أنواع النقل قال: "اعلم أن النقل ينقسم إلى قسمين: متواتر وآحاد، فأما التواتر فلغة القرآن، وما تواتر من السنة، وكلام العرب، وهذا القسم دليل قطعي من أدلة النحو يفيد العلم وأما الآحاد فما انفرد بنقله بعض أهل اللغة، ولم يوجد فيه شرط التواتر وهو دليل مأخوذ به ".[10]

ومن الأمثلة الساطعة على توظيف النحاة لمصطلحات الفقه، وأصوله، واستفادته منه: بعض المسائل التي عالجها السيوطي في الكتاب الثاني من الاقتراح والذي يعبر جملة وتفصيلا عن مدى تأثر النحو بالعلوم الدينية بما فيها من مصطلحات مثل: الإجماع، التلفيق إحداث قول ثالث، القياس، العلة، اصطحاب الحال، الواجب، الجائز إلي غير ذلك.

وهي في الواقع مصطلحات دأب الأصوليون من أهل الفقه على استعمالها فاستعارها منهم النحاة، وطبقوها على دراساتهم النحوية.

ولإثبات ما قدمناه نورد بعض المسائل التي عرضها السيوطي في كتابه المذكور:

1. إجماع النحاة : قال: "والمراد به إجماع نحاة البلدين البصرة والكوفة"[11] و نقل إبن جني : "إن الاجماع يكون حجة إذا لم يخالف المنصوص، ولا المقيس على المنصوص، وإلا فلا، لأنه لم يرد في قرآن ولا في سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ. وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة، فكل من فرق له عن علة صحيحة، وطريق نهجه، كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره، إلا أننا مع ذلك لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها، و تقدم نظرها إلا بعد إمعان و إتقان "[12].

2. تركيب المذاهب : وهو أن تضم المذاهب إلى بعضها، وينتحل من بين ذلك مذهب ثالث، و يشبهه في أصول الفقه إحداث قول ثالث، والتلفيق بين المذاهب، ومثل له بتصغير (يرى) إذا سميت به رجلا، فعلى مذهب المازني تقول: رأيت يريئيا، فترد المحذوف على رأي يونس، وكان سيبويه لا

يرده، ويصرفه على رأي سيبويه وكان يونس لا يصرفه، فقد لفق المازني من المذهبين مذهبا ثالثا فقال: برد المحذوف وصرف الاسم[13].

3. إحداث قول ثالث: نقل عن أبي البقاء العكبري أنه قال: "أن أهل العصر الواحد إذا اختلفوا على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث، هذا معلوم من أصول الشريعة وأصول اللغة محمولة على أصول الشريعة"[14].

كل هذه النماذج توضح مدى تأثر النحاة بالأصوليين في توظيف مصطلحات بعد استعارتها منهم، ومما يؤكد أن السبق كان للدراسات الفقهية في استعمال هذه المصطلحات التي استمدتها منها البحوث النحوية:

أ. أن كلام العرب لم يكن مبنيا على قواعد عند نشأة اللغة، وإنما هو سليقة وفطرة جبلوا عليها، وقد نقل السيوطي عن الخليل قوله: "إن العرب نطقت على سليقتها وطباعها، وعرفت مواضع كلامها "[15]

لا غرو إذا كانت العرب — من غير المتهمين بهذا الجانب بعلم النحو — لا تدركون من الألفاظ والكلمات إلا المعنى اللغوي، من ذلك ما ذكره الأصمعي: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ فقال: إني إذن لرجل سوء، قلت: تجر فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي ، فالأصمعي يسأل عن أشياء اصطلاحية بعيدة جدا عن تفكير الأعرابي الذي لا يعرف للهمز معنى إلا العيب والشتم، ولا يعرف للجر إلا السحب ، أما ذوو الشأن فهم متفقون على أن رفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية، والجر علم الإضافة.

عامل في المحل، فهو عامل لا عامل فسمي معلقا، أخذا بالمرأة المعلقة التي لا هي متزوجة ولا هي مطلقة ولهذا قال ابن الخشاب: "لقد أجاد أهل هذه الصناعة في وضع هذا اللقب لهذا المعنى" [20]

– النسخ:

أخذ النحاة هذا الاصطلاح من الأصوليين لما رأوه من تطابق في المعنيين الفقهي والنحوي فهو عند الأصوليين رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر، ومثاله ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، كانوا في أول الأمر متجهين في صلاتهم إلى بيت المقدس، ثم أمروا بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾[21].

ورأى النحويون أن المبتدأ والخبر مرفوعان، وأن دخول (كان، ظن، وإن) عليها تغير من هذا الحكم، فأطلقوا عليها كلمة النواسخ، وأطلقوا النسخ على هذا العمل.

– التعدية:

وهي عند النحاة تأثير الفعل في المفعول به، إذ تجعل الفعل اللازم متعديا بتضعيفه أو بالهمزة أو بزيادة ألف المفاعلة، ومنه انقسمت الأفعال إلى نوعين: لازم، ومتعدي.

"هذا الاصطلاح (التعدية) مأخوذ من الفقهاء والأصوليين، فهو عندهم إثبات حكم مثل حكم الأصل في الفرع"[22]

وفي نفس السياق، هناك من يورد ما يكشف أن أمر الاصطلاح شيء مستحدث في النحو بدلالة أنه لما قيل لأحد الأعراب: أتهمز الرمح؟ قال: نعم، قيل له: فقلها مهموزة، فقالها مهموزة بالضغط على الحروف، قيل له أتهمز الترس ؟ قال : نعم ، فلم يدع سيفا ولا ترسا إلا همزه، فقال له أخوه وهو يهزأ : "دعوا أخي فإنه يهمز السلاح أجمعه"[16]، فالبدوي لا يعرف من الهمز إلا الضغط بالشد، وهذا بخلاف ما هو مستعمل في النحو.

ب. ولا غرابة إذا وجدنا كثيرا من المصطلحات المشتركة بين النحو وأصول الفقه كان للأصوليين فضل السبق في الاهتداء إليها،و قد استعارها واشتغل بها النحاة في بحوثهم من ذلك:

– اصطلاح التعليق :

أخذه النحاة من الفقهاء ، فالمرأة المعلقة عندهم هي التي فقدت زوجها، و لم تستوف بعد عدة النكاح، فلا هي متزوجة، ولا تستطيع أن تتزوج في الوقت نفسه، فهي معلقة [17]، قال الله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾[18] .

هذا المعنى أخذه النحاة من باب أفعال القلوب، فكما أن الزوج يكون موجودا، إلا أن زوجته لا تتمتع بحقوق الزوجية كذلك العامل يكون موجودا، ولا يؤثر في المعمول.

إلا أن التعليق في هذا الباب هو إبطال عمل (ظن) وأخواتها في اللفظ دون التقرير لاعتراض ما له صدر الكلام بينها و بين معمولها، نحو (علمت زيد فاضل)[19]، لحق (زيد فاضل) النصب،لكن العامل ملغى في اللفظ،

- الشرط:

معروف في النحو، فنقول اسم شرط، أو حرف شرط، أو أداة شرط، وهو في اصطلاح الفقهاء والأصوليين، الخارج عن الشيء الموثوق عليه ذلك الشيء غير المؤثر في وجوده، كالطهارة بالنسبة للصلاة، فالطهارة خارجة عن الصلاة، و لكنها متوقفة عليها، فالشرط ما يتوقف عليه شيء، ولا يكون داخلا فيه أو مؤثرا فيه [23]، والنماذج كثيرة في هذا المضمار وسأقتصر على ما ذكرت.

والخلاصة أن هناك أثرا جليا للبحث الفقهي في الدرس النحوي من حيث تأسيس المصطلح واستعماله. وهذا يؤكد فضل العلوم الدينية، وتكاملها مع علوم اللسان العربي، و حاجة اللغة العربية إلى هذه الفروع قصد التطور و التحديث في مجال المصطلح .

هوامش

1 المنخول من تعليقات الأصول ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، المتوفى سنة 505 هـ، حققه و علق عليه د. محمد حسين هيتو ، دار الفكر، دمشق ط2 ، سنة 1980 م ، 1400هـ ، ص:06 .

2– الاقتراح في علم الأصول النحو للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، المتوفى سنة 911 هـ ، تحقيق و تعليق ، د / أحمد محمد قاسم ، ط1 1396 هـ - 1976 م ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ص : 04 .

3– الخصائص ، لابن جني أبو الفتح عثمان المتوفى سنة 392 هـ، تحقيق محمد علي النجار و آخرون ، ط1 ، دار الهدى-بيروت، ج1 ،ص:163 .

4 – الاقتراح للسيوطي ص : 51 (مرجع سابق) .

5– السابق ، ص : 06 .

6– الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري أبي البركات ، كمال الدين عبد الرحمان بن محمد المتوفى سنة 577 هـ ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط 04 ، 1969 ، ج 01 ، ص : 03 .

7– الاقتراح ، ص : 21 (مرجع سابق) .

8– الأشباه و النظائر في النحو ، للإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، المتوفى سنة 911 هـ دار الكتاب العربي ، مراجعة د/ فايز ترحيني ، ط01 سنة 1984 ، ج01 ، ص : 04 .

9– الإغراب في جدل الإعراب ، لابن الأنباري ، ص : 45 ، 46

10 لمع الأدلة لابن الأنباري أبي البركات، متوفى سنة 577 ه، تحقيق سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة سورية دمشق ، 1957 ، ص 84 ، انظر الاقتراح ، ص 34 (مرجع سابق).

11 الاقتراح ص 88 مرجع سابق.

12 السابق ص 88 انظر الخصائص ، ج 1 ، ص 190/189.

13 الاقتراح ص 91 (مرجع سابق).

14 السابق ص 93.

15 الاقتراح ص 135. (مرجع سابق).

16 عيون الأخبار ج 2 ، ص 157.

17 حاشية الجمل على الجلالين ج1 ص 431.

18 سورة النساء الآية 129.

19 حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المطبعة الأزهرية المصرية ، ط 1 ، 1305 ه ، ج 2 ، ص 20.

20 السابق ج2 ، ص 22.

21 أصول الفقه للشيخ بدران أبي العينين ص 472 سورة البقرة الآية 144.

22 كشف اصطلاحات الفنون ، للشيخ محمد علي التهاوي ، ج 1 ، ص 1080.

23 السابق ج 1 ص 753.

الاستشراق بين غموض المصطلح وصعوبة الاستيعاب

أ. محمد التاج
كلية الآداب – جامعة تيارت

إننا لا نكاد نجد بحثا عن الاستشراق لا يرجعه أصحابه في غالب الأحيان للاستعمار والتنصير والمكر وكلمات كثيرة، كثيرا ما تخرجه عن مساره العلمي، حتى كأنّ الاستعمار والمكر والتنصير لم يكن لهم وجود قبل الاستشراق.

حتى إنّ هذا الفهم جعلنا نعلّق كلّ أسباب الانحطاط والتخلف على هذا المشجاب ثم حددنا سبل التعامل نحوه مسبقا تارة بلون الغزو الفكري وأخرى التغريب وأخرى التنصير والتبشير والعلمانية.

وإن كان الاستشراق قد نشأ في أحضان الكنيسة وكان الكيد أهم أهدافه إلا أنّ هذه النشأة برحت الأحضان وبدأت تتشعب في ميادين دراسية متعددة وخاصة ما أطلق عليه بالاستشراق الفردي الذي حمل ثقافة الشرق وتعمّقها وتحوّل إلى مجال نقد الكنيسة وكشف أخطائها على ضوء العلوم المستقاة من الشرق ومثال ذلك الكتب التي ألفت في سبيل إصلاح الكنيسة وثقافة الكنيسة بما يتفق وما أنتجته الثقافة الكلامية العربية أواليات التعامل مع الحديث النبوي ومن هذه الكتب:

- كتاب علوم القرآن للمسيحيين للثيولوجي الألماني باول شفارتزناو حيث أظهر ما في القرآن من معلومات صحيحة عن المسيحية الأولى
- صورة عيسى في القرآن الكريم للثيولوجي الفنلندي هايكوزازنين

- الإسلام لا ندري مايكل من البعثة إلى جمال عبد الناصر بموضوعية
- المسيحية والديانات الأخرى لهانس كورنرج (القسم الخاص بالإسلام)
- ما عرضه المستشرق جوزيف فان ايس عن الإسلام وكيف أنّه لم يفهم في الغرب؟(1)

هذا التحول الذي باين واختلف عن الاستشراق الأكاديمي ألمؤسساتي الذي كاد للإسلام والمسلمين وأصبح يحاول إصلاح الكنيسة وتحديد المواقف اتجاه العالم الإسلامي ووضع الاستراتجيات التي تستطيع فهم الأخر و احتواءه .

ولأنّ المصطلح قد شقّ له مناح متعددة وحاول أصحابه قراءة الشرق بعيون الغرب وقراءة الغرب بعيون الشرق تأتي ضرورة الاقتراب من تعاريفه المتعددة في ثوبها الجديد وفي مهمتها الجديدة ومعرفة المستشرق ودوره في هذه العملية كذلك.

محاولة ضبط المصطلح: قال الأديب الفرنسي *حدد مصطلحاتك قبل أن تناقشني * فإذا كان هذا الأديب قد قالها لمناقش يكون من جهته وعلى ثقافته وضمن حضارته إدراكا منه أن التواصل لن يتم ما لم يحدث اتفاق على مستوى المصطلح, فإذا كان الأمر يتعلق بفولتير والمتحدث معه على افتراض انه على ثقافته وينتميان إلى حضارة واحدة فكيف يكون الأمر إذا قفزنا بين الضفتين ودخل التباين بين الجهتين وأصبح التحفز لاحتواء الأخر ديدان المتنافسين ولعله سباق مبرر هدفه التموقع الحضاري و تغليب جهة على أخرى و ثقافة على أخرى .

لأجل ذلك ظهرت مصطلحات كثيرة حاولت استيعاب هذه الحركات و منها مصطلح الاستشراق و الاستغراب .

إن المراحل التاريخية التي مر بها مصطلح الاستشراق جعلته يأخذ أشكالا وأدوارا و يتلبس بألبسة مرة فضفاضة و أخرى ضيّقة

البحث عن الكلمة في مختلف المعاجم العربية القديمة ,يعود صاحبه خال اليدين ويخفي حنين ذلك أنّه لم يكن قد أحتل مكانته ضمن قاموس المصطلحات التي أنشأتها الحضارة الإسلامية وقد سهلت عليها عملية التسيير العقلي لمختلف جوانبها العقلية والروحية والتجريبية

غير أن هذا لا يمنع الباحث من الوصول إلى معناها الحقيقي استنادا إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق حيث يبدو أن معنى استشرق أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم (2)

قد أرّخت الكتب أنّ كلمة مستشرق ظهرت في إنكلترا عام 1779 وفي فرنسا عام 1799 وأدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838(3)

وما أن ظهر المصطلح وتبلور حتى تلقفته المعاجم والكتب ,فأخذ حيزا كبيرا من الدراسة

وقد توصلت هذه الدراسات إلى مجموعة المفاهيم بل الإشكالات المتعلقة به والذي يبدو لأول وهلة أنّه مصطلح يدل على الدراسات التي تتناول علوم الشرق بالبحث والدراسة ولا خلاف على ذلك بين أهل الاختصاص. لكن أيّ شرق ؟ وكذلك هل التعريف يخص الشرقيين الذين يدرسون علوم الشرق ؟ هذا ما زاد التعريف تعقيدا حول ماهية المستشرق.

قد فضل البعض قصر هذا التعريف على غير الشرقيين الذين تخصصوا في دراسة الشرق استنادا إلى التركيب اللغوي لكلمة استشراق والمتكونة من كلمة شرق والمقطع الأول المكوّن من الحرف أ- س- ت الذي أضيف

إلى الفعل ليدل على الطلب بشكل عام وطلب شيء غير موجـــود لحظـــة الطلب بشكل أدق ,فكلمة استأذن(تعني طلب الإذن الذي تحتاجه وكذلك استغفر و استخرج...الخ.

والواضح أنّ كلمة الاستشراق مشتقة من مادة شرق يقال شرقت الشـــمس شرقا وشروقا إذا طلعت(4)

وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة استشرق طلب علوم الشـــرق ولغاتهم مولدة عصرية يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة(5)

والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصـــة بالشـــرق ولغاتـــه وآدابه(6)

وبذلك يستحيل كون العالم الشرقي مستشرقا لأنه شرقي أولا وعالم بعلوم الشرق ثانيا فماذا بقي له أن يطلب لكي يطلق عليه اسم مستشرق ؟ فمـــا بقي إلا أن نقصر دلالة لفظ مستشرق على غير الشرقيين من العلماء الـــذين يطلبون علما غريبا عنهم لا يشكلون تاريخه ولا ثقافته ولا مادته الأساسية.

أما ما يخص المصطلح و بأية صورة ورد في القـــواميس الغربيـــة فتكـــاد المعاجم الألمانية والفرنسية والإنجليزية تجمع على تعريف واحد حيث ترى أن الكلمة لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هـــو مشـــرق الشمس بالمفهوم الدلالي أي بمعنى الشروق والضياء والهداية بعكس الغروب بمعنى الأفول و الانتهاء.

والتعرض لأصله يبين انه متـــرجم عـــن كلمـــة orientalism في اللغـــة الإنجليزية .orientalisme في الفرنسية orientalistik في الالمانية مســـتندين على كلمة orient التي تعني الشرق والتي تقابلها كلمة occident التي تعني الغرب ونجد أن هذه الكلمات في اللغة العربية ذات دلالة جغرافية و فلكيـــة

ففي الجغرافية تعني ما يقع في جهة الشرق من المتحدث والفلكية تعني ما يقع في الجهة التي تشرق منها الشمس فإذا كان اصل هذا المصطلح أوربيا فانه لابد أن نشير إلى دراسة علوم البلاد التي تقع إلى شرق أوربا جغرافيا أو فلكيا أو هما معا

فهل تقع البلاد التي تتناولها الدراسات الشرقية في أوربا بالفعل في الجهة الشرقية من أوربا ؟ مما لاشك فيه أن الدراسات الاستشراقية أو ما يسمى بالعلوم الشرقية تتناول تاريخ وثقافة المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من أوربا وبهذا لا تنطبق عليها صفة الشرق من حيث المفهوم الجغرافي الذي يعبر عنه في اللغات الثلاث الرئيسية بكلمة east في الإنجليزية و.est في الفرنسية وost في الألمانية

و يجمع معني هذه الكلمات في لغاتها كلا من المعنى الجغرافي والفلكي(7) وبالتالي فانّ المفهوم الدال على الجغرافية والفلك مفهوم بعيد عن دلالة مصطلح الاستشراق مما يدفعنا للبحث عن طريق آخر علّه يقرب المصطلح من الفهم .

إننا نجد في اللغة الألمانية كلمة تقربنا من معنى الشرق المقصود بالدراسات الشرقية فكلمة morgenland والتي تعني بلد الصباح الذي يتضمن معني النور واليقضة وفي المقابل كلمة obendland و التي تعني بلد المساء لتدل على الظلام والراحة وهذه هي الترجمة الحرفية لكلمة orientالشرق وكلمة occidentالغرب اللاتينيتين .

الباحث عن كلمة orientفي اللغة اللاتينية (orient) يجد أنها تعني -يتعلم أو يبحث عن شيء ما وorienter تعني وجّه أو هدى أو ارشد orientation تعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو

الاجتماع أو الفكر أو الأدب وفي اللغة الألمانية تعني جمع المعلومات (معرفة عن شيء ما)

فاستخدام كلمة بهذه الدلالة اسما لعلوم تبحث في منطقة معينة تعني اعترافا بانّ العلم (المعرفة و الإرشاد كانا يطلبان من هذه المنطقة وان وصفها بالشرق يعني في المقام الأول أنها المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة وليس الشمس بمعناها الحسي المعروف. هذا ما جعل المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة تطلق على كتابها* **شمس الله تشرق على الغرب***وليس شمس العرب كما ترجمها البع DALLAHBRILLE SUR LE SOLEIL CCIDENT THE SUN DALLAH .SHINE ON OCCIDENT (8) فقد ربطت الشمس باسم الله كإشارة لفضل المسلمين على الغرب وقد وضحت فيه مساهمة الإسلام وعلمائه وعلومه في النهضة الأوربية

ويتجدد السؤال لماذا الشرق ولماذا انتسبت إليه هذه العلوم؟

إن الباحث ليجد مصادر العلوم الأوربية و التي يراها الأوربيون بلد اليونان هي أساسها شرقي و بالضبط منطقة العالم العربي و الإسلامي فالثابت تاريخيا أن كبار الفلاسفة اليونان قد اخذوا علومهم من الحضارات الشرقية وأولها الحضارة المصرية القديمة فأهم الشخصيات التي عرفت بنقلها عن الشرق: فيثاغورس وأفلاطون فالأول معروف بنظريته الهندسية وقد نقلها عن المصريين والثاني كان قد افتتح مدرسته الأولى في القرن8 قبل الميلاد في اثينا بعد عودته من مصر والتي كتب عليها لا يدخلها من لا يعرف الهندسة وبعد الميلاد فكان انبعاث المذهب الافلاطوني الجديد المعروف بالافلاطونية الجديدة على يد فيلون الفيلسوف الشرقي اليهودي (50ق

م/25م) ثم على يد أفلوطين المصري كما أن تاريخ النصرانية لم يشـــهد في بدايته مثل القديس أوغسطين وهو مغربي

كما شهدت المنطقة ظهور الديانات السماوية الثلاثة (اليهودية والنصرانية و الإسلام)وكذلك بعض الديانات غير السماوية مثل الزرداشتية و البوذية والمنوية و الهندوسية والمزدكية

و بالتالي فان أصول العلوم التجريبية و الروحانية و العقلية التي وصـــلت إلى الغرب هي في أساسها شرقية قديمة

ومن الاقترابات التي حاولت الاحاطة بهذا المصطلح مجموعة التعاريف الـــتي توصل إليها أصحابها بعد بحث مضن ويمكن عرضها على النحو التالي :

1) **التعريف العام** : وهو التعريف الذي يحدد الإستشراق بأنه أسلوب فكري غربي (أي منهج غربي في رؤية الأشياء والتعامل معها) ويقوم علـــى أن هناك اختلافا جذريا في الوجود و المعرفة بين الغرب والشرق وان الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني.

ومن مزايا هذا التعريف أنه يشير إلى النزعة العنصرية الواضحة في الإستشراق كل أنواعه,سواء أ كان الإستشراق الأكـــاديمي في الأعمـــال والمؤلفـــات (الأدبية والشعرية)التي تكتب عن الشـــرق أو في المؤسســـات السياســـية الاستعمارية التي يتعامل الغرب من خلالها مع الشرق .

2) **التعريف الخاص** : وهو أن الإستشراق دراسات أكاديمية يقوم بهـــا غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبـــه , تاريخـــه و ثقافتـــه وأديانه ولغاته ,ونظمه الاجتماعية والسياسية وثرواته و إمكاناتـــه بهـــدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب , وتبرير هذه السيطرة بدراســـات وبحـــوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية .

3) ا لتعريف الثالث :وهو تعريف د/ إدوارد سعيد مؤلف كتاب **الإستشراق** وهو أن الإستشراق أسلوب من الفكر قائم على تميز وجودي أنطولوجي ومعرفي إبستمولوجي بين الشرق وفي معظم الأحيان والغرب, وبإيجاز الإستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه(9)

موضوعات الاستشراق: تناولت كتابات الاستشراق في القرون الوسطي القضايا الدينية والتعاليم الإسلامية وأفاضت دراساته في الكلام على موضوعات النبوة والخلافة و القران الكريم وتحمس العديد من مفكري العرب وأدبائهم للرد على إفترائاته و تراهاته كما توجه إلى دراسة التراث العربي اللغوي والعلمي ,الأدبي والفلسفي و اتخذه وسيلة دغماتية لتحقيق نزعته الفوقية وفرض سلطته العنصرية خاصة عندما ادعى أن الفلسفة العربية يونانية مكتوبة بحروف عربية وان العرب مفطورون على البساطة في اللغة والتفكير وان الحضارة العربية الإسلامية لم تؤثر في نهضة أوربا وتطور علومها وتقدم مجتمعاتها وان النهضة الأوربية الحديثة هي من صنع الغرب وحده وان الحضارة العربية هي مجرد صورة للعلوم اليونانية والقوانين الرومانية وطبيعة العربي وتربيته الاجتماعية تصلح للرعي والزراعة(10) و انّ عقله جامد لا يكترث للشؤون الحياتية والحقوق الإنسانية (11)

هذه المحاولة متواضعة لضبط مصطلح استشراق والذي نستخدمه كثيرا دون التأكد من أصوله التاريخية التي قد تعطيه صورة متنوعة الجوانب فتستغرق كل محاولات الاحتواء والاقتراب من الأخر.

الهوامش :

1 - الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ,السيد محمد الشاهد مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق – موقع الانترنيتwww medina center org

2- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر:د/ احمد سمايلوفتش – القاهرة- دار الفكر العربي ب ط/ 1998 / ص21-22

3- الاستشراق في الميزان د/ منذر معاليقي – بيروت- المكتب الإسلامي- ط1/1997 ص60

4- المعجم الوسيط ج1ص482مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1960*

5- معجم متن اللغة : الشيخ أحمد رضا-بيروت- دار مكتبة الحياة ج3/ 1958/ص311

6- grand arouse encyclopedique 7/1004

7-الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين ,السيد محمد الشاهد مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق – موقع الانترنيت www medina center org

8- شمس الله تسطع على الغرب د/ زيغريد هونكة – الغلاف تر- فؤاد حسنين علي- **مكتبة رحاب – الجزائر** -.

9- ادوارد سعيد: الإستشراق-بيروت- مؤسسة الأبحاث العربية- ط4/1995 ص38

10/11- التبشير و الاستشراق :محمد عزت إسماعيل –أحقاد وحملات -القاهرة-الزهراء للاعلام 1991/ص109

Contribution à une définition vulgarisée de quelques Concepts et notions usuels en urbanisme

Par Houcine RAHOUI,
Socio-anthropologue, Urbaniste
EPAU El-Harrach, Alger & URBAT-Tlemcen
Tél. Bureau : 00 213 43 27 41 54 & 58 - Mobile : 00 213 62 32 50 30
Email : rahcine@caramail.com

Mots clés : espace ; urbanisme, ville ; trame ; réseau ; norme

Généralement, chaque domaine de connaissance a son objet, sa méthode et ses modes opératoires ; cependant, il reste beaucoup de domaines et de disciplines qui se recherchent encore aux niveaux conceptuels et méthodologiques, et c'est le cas pour l'***Urbanisme*** qui demeure un ensemble de pratiques empiriques visant la production, l'entretien et la gestion du cadre bâti et des réseaux urbains qui lui sont rattachés.

En effet, l'Homme a de tout temps construit sa demeure, sa ville et son environnement urbain avec ses moyens de bord, souvent par à-coups et tâtonnement. Et, devant le fort taux d'accroissement démographique, le développement spectaculaire de la société urbaine au détriment de la société rurale et l'avancée technologique, les moyens de juguler le phénomène urbain sont devenus de plus en plus complexes.

C'est pourquoi, l'approche de l'Urbanisme, aussi bien pour le profane que pour le spécialiste, passe par la connaissance et

l'usage de notions et concepts qui sont autant de clés d'accès à cette discipline en phase de constitution.
Les notions et concepts tels que : cité, ville, urbain, urbanisme, trame urbaine, réseau urbain, espace, etc... sont fréquemment utilisés dans le jargon de cette discipline qu'il est nécessaire de les définir.

A cet effet, nous nous proposons de donner, ci-après, les définitions générales quelques notions et concepts usuels :

- ***Ville*** est un mot récent dans le dictionnaire français ; c'est par la fréquence de son usage qu'il a pris place dans ce dernier. Il est dérivé du mot italien ***Villa***, qui signifie ***Maison de Maître***.
- **Urbain** [1] : c'est un mot qui découle de la racine **Urbs** : et qui signifie **Ville**. C'est le terme approprié pour désigner la réalité urbaine avec ses composants naturels et artificiels (construits).
- ***Urbain*** : signifie aussi : relatif à la ***Ville***. Donc : un aménagement urbain, c'est un aménagement relatif à la ***Ville***.
- **Urbain**, relatif à la Ville, s'oppose à : **Rural**, relatif à la Campagne.
- **Urbaniser** : c'est donner le *caractère urbain*, transformer en *Ville*.
- La **Ville** est l'équivalent de la **Cité Antique** « *callipolis* » qui signifie : la *Ville Politique*, du temps de la Cité Idéale de Platon et ses contemporains.
- La **Cité** est donc une ancienne désignation de la ville. Ce mot est utilisé aujourd'hui, d'une manière vague, dans des environnements différents ; comme par exemple : Cité des 1060 Logements, Cité Universitaire, Cité Olympique, Cité Militaire, etc. La Cité, dans ce cas, désigne un projet ou programme urbain remplissant une fonction résidentielle ou d'activité spécifique, réalisé dans un espace plus important, qui est l'espace urbain.

C'est pourquoi, les mots ***Ville*** et ***Cité*** peuvent désigner des

[1] idem : p : 1470

1. Espace :

- Littéralement, l'**Espace** [1] est généralement défini comme étant un Milieu, une Etendue, une Portion plus ou moins déterminée de ce milieu (...).

Quand il s'agit d'un territoire administratif, d'une propriété, l'espace est défini, circonscrit et limité avec exactitude (bornage).

Cependant ce concept prend des sens différents, selon le contexte dans lequel il est utilisé :

- En imprimerie, **l'espace**, c'est ***le blanc laissé entre deux mots***.
- Il exprime la ***distance***, lorsque l'on dit, par exemple, : ***l'espace entre deux bornes kilométriques, entre deux points.***
- Il exprime le ***temps*** dans l'expression : ***l'espace d'un regard.***

Donc le concept « Espace » s'il n'est pas circonscrit dans un contexte précis et défini par rapport à son objet d'étude, il peut s'avérer n'être qu'une « notion vague » : c'est, à la fois / ou tantôt, une étendue, une durée, une distance ; combien même le terme « Distance » peut, lui aussi, renvoyer à d'autres sens.

Par exemple, « *Pour l'Historien, la* ***distance*** *ne se définit pas seulement dans la précision d'une unité abstraite. Elle appelle d'autres mesures plus humaines, plus concrètes. Comme le temps, elle a son épaisseur, sa densité : distance parcourue distance vécue. Elle peut être légère, rapide, aisée, comme elle*

[1] Le Robert méthodique : Dictionnaire Méthodique du Français Actuel, Paris 1989, pp : 512-513

peut être lourde, lente, interminable, dans un encombrement d'obstacles et de périls. Cette distance est une somme de peines, de fatigues, de délais, de dépenses » [1]. Cette distance a plusieurs significations, dont la signification économique, en dernier lieu.

L'espace peut être une surface plane, un volume défini (espace habitable), un volume indéfini, illimité (espace sidéral).

- ***L'espace urbain :*** c'est donc l'espace territorial incluant les édifications architecturales et urbaines contenues dans ce dernier.
- ***L'espace social :*** c'est la représentation de la population résident et évoluant sur cet espace, avec son mode de vie et ses pratiques sociales.
- ***L'espace féminin :*** c'est l'espace socio-physique dans lequel évolue la gent féminine (salon de coiffure, bain et douches, clubs pour femmes, par exemple).
- ***Etudier l'espace social*** : c'est étudier les caractéristiques sociales d'un groupe social, d'une entité, d'une population donnée sur une aire géographique donnée, ou un espace défini.
- ***Etudier la dimension socio-spatiale*** : c'est étudier les différents types de relations entre un espace physique et la société qui vit sur cet espace. La relation qui en découle est alors appelée la ***relation Socio-spatiale***.

2. Urbs, Urbain, Cité et Ville

---

[1] Pierre CHAUNU, Richard GASCON
Histoire Economique de la France, Tome 1 : de 1450 à 1660 : l'Etat et la Ville (Premier Volume) ; chap II, p : 377
Cote : (9.1.2 / 1), Bibliothèque Centrale EPAU-El Harrach

environnements très différents mais ils s'appliquent, dans tous les cas, au cadre d'un mode de vie urbaine, un milieu où le cadre naturel a été dominé et façonné par l'Homme. Ce cadre peut aussi bien désigner une modeste composition architecturale qu'un ensemble urbain complexe aux fonctions multiples hiérarchisées [1]

Par le mot « ***Cité*** » il est entendu un endroit où des citoyens, jouissant des droits attachés à la ***Citoyenneté***, mènent une vie ***civile***.

- Les mots ***Citoyenneté, civil, civique, civilisé, civilisation*** désignent l'état le plus avancé de l'organisation et du comportement social que l'homme aurait atteint dans la ***Cité,*** qui est le cadre et l'instrument de cette manière de vivre.

3. Ville et Village :

Si le ***Village*** est généralement caractérisé par une homogénéité architecturale, une taille très modeste d'espace urbanisé, une population limitée et une mono activité (agricole et de services réduits), les critères de définition de la ***Ville*** sont plus étendus et plus complexes mais peuvent être ramenés à deux catégories :

- la première catégorie rassemble les données morphologiques et quantitatives (configuration spatiale, taille de l'agglomération et nombre de la population).

[1] Cf : Lewis MUMFORD in : La Cité à travers l'Histoire.

- la seconde catégorie intègre les niveaux de *Performance* et de *Compétence* de l'agglomération à prendre en charge son propre espace urbain ainsi que le territoire qui gravite autour de lui (Espace Péri Urbain et Arrière Pays). Elle intègre également les manifestations sociales et culturelles dans un réseau diversifié d'activités et d'échanges structurés.

Enfin, si la ville se plie à un système interne hiérarchisé de ses propres composantes, elle se trouve, souvent à la tête d'un ensemble local et / ou régional lui-même hiérarchisé (chef lieu de Daira et/ou de Wilaya, ou Métropole Régionale).

4. Ilot, trame et tissu urbain

- **Ilot :** signifie petite île, qui est une unité terrestre entourée par l'eau de toute part.
- Dans l'espace urbain, l'îlot est une unité spatiale urbaine continue, résultant souvent du croisement des voies de communication, et parfois aussi, des obstacles naturels (talwegs) ou artificiels (chemin de fer canal, etc....).
- La **trame :** le croisement des voies (rues, ruelles) constitue une trame, à l'image d'un tissage formé de fils de chaîne et de fils de trame.
- La ***trame urbaine*** est aussi appelée ***tissu urbain***.
- Les différentes configurations de l'espace urbain, qui sont définies par la topographie des sites et le tracé des voies, déterminent trois types de trames :

- la ***trame orthogonale*** ou en ***damier*** constituée par des voies qui se coupent à angles droits (90°), découpant l'espace urbain en îlots quadrangulaires réguliers.

- la ***trame radio concentrique***, ou ***trame radiale***, imposée par la topographie des sites, particulièrement ceux qui sont érigés en mamelons.

- la ***trame organique*** comme, par exemple, le tissu traditionnel de la médina arabo- musulmane. Ce type de trame est déterminé par des facteurs socioculturels et par le statut juridique des sols.

5. L'urbanisme :

C'est une discipline relativement nouvelle basée sur des pratiques empiriques consolidées par des textes à caractère technico-réglementaire, juridique et normatif visant l'organisation de l'appropriation, de la production et de la gestion de l'espace urbain.

Ces quelques notions et concepts, loin cerner l'espace urbain, se limitent à ouvrir une fenêtre sur un domaine vaste nécessitant une étude approfondie qui doit atteindre ses fondements épistémologiques, ses méthodes et techniques.

Enfin, nous tenterons à titre didactique, et dans un souci de vulgarisation, de traduire vers la langue arabe certains des concepts, notions et expression que nous venons de définir dans le contexte de l'urbanisme.

Expressions et mot en français	العبارة المقترحة
L'Espace	المجال – الفضاء
L'espace urbain	المجال أو الفضاء العمراني
L'espace social	الفضاء الاجتماعي
L'espace féminin	فضاء النسوة
La dimension socio-spatiale	البعد الاجتماعي– الفضائي
La relation socio-spatiale	علاقة المجتمع بالمجال
village	القرية
Ville	المدينة
Cité	المدينة – الحي
Urbain	عمراني
Citoyen	مواطن
Citoyenneté	مواطنة
Ilot	جزيرة
Tissu	سيج
Tissu urbain	سيج عمراني
Trame	سيج – شبكة
Trame urbaine	سيج عمراني
Trame orthogonale ou en damier	شبكة شطرنجية
Trame radioconcentrique	شبكة أسطوانية
Trame organique	سيج أو شبكة عضوية
Réseau	شبكة
Réseau urbain	شبكة عمرانية
Réseau d'alimentation en eau potable (A.E.P.)	شبكة توزيع المياه الصالحة للشرب
Réseau d'assainissement	شبكة صرف المياه
Critère	قياس – معيار

المحتويات

الموضوع		الصفحة
تصدير:	مدير المجلة	أ
اختلاف العلماء في المصطلحات	د. محمد محيي الدين	01
المصطلح البلاغي في أبعاده الكلامية	أ. محمد مذبوحي	13
اللسانيات المعاصرة و إشكالية ترجمة المصطلح	د. محمد بلوحي	27
الخطاب و التأويل قراءة مصطلحاتية	د. منقور عبد الجليل	65
المصطلح العربي بين دقة الوضع و انحسار التداول	د. عبد القادر سلامي	76
بين اللغة و المصطلح	أ. د. قدور إبراهيم عمار	91
النظام التصوري بين علماء اللغة و المناطقة	أ. عمر ديدوح	96
المصطلح الفقهي و أثره في الدرس النحوي	أ. رويسات محمد	118
الاستشراق بين غموض المصطلح و صعوبة الاستيعاب	أ. محمد تاج	130
: Contribution à une définition vulgarisée de quelques concepts	**Rahoul. Houcine**	147